التجديـــد في التفسيـر
مفهومه ومظاهره ومخاطره

بحث مقدم
إلى المؤتمر العلمي الأول
تجديد العلوم العربية والإسلامية بين الأصالة والمعاصرة
المنعقدة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق
جامعة الأزهر ٢٠٢١/٣/٢٠
(الجزء الثاني)

إعـــــداد
الدكتـــور
محمد إبراهيم محمد نافـــع
مدرس التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيِّدنا رسول الله ﷺ، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد؛ فإنه لا يخفى على أحدٍ هذه المستجدات التي تمر بها أمتنا من معطيات التقدم الفكري والحضاري، وفي المقابل ما تعانيه من أزمات متلاحقة، وما تواجهه من فتن متعاقبة، وما تكابده من أعداء متربِّصين، يمكرون لها ليل نهار، لا سبيل إلى العصمة منها إلا بالرجوع إلى القرآن الكريم الذي أنزله ربُّنا هدى وتبياناً لكلِّ شيء، ولا شك أن الأمر الذي يساعد على الفهم السوي السليم للقرآن والانتفاع بما فيه هو حسن تفسيره بما يبين مقاصده ويوضح معانيه، ويكشف اللثام عما فيه من كنوز وأسرار.

والناظر إلى التراث التفسيري الذي بين أيدينا يرى أنه قد مرَّ بمراحل زمنية متعددة، ولكل مرحلة زمنية ظروفها ومخرجاتها، وكل تفسير من هذه التفاسير له طابعه الخاص الذي يميزه عن غيره. فكيف نتعامل مع هذه التفاسير؟ هل نتجاوزها باعتبارها تراثًا منقضيًا كان مناسبًا لحقبة تاريخية مضت ؟ أو نتمسك بها بطريقة تساويها بالنص القرآني المقدس؟ أو إن هناك خيارًا ثالثًا، والذي يمثل المنهج المعتدل في التعامل مع التراث التفسيري، وذلك من خلال العمل على تنقية هذا التراث والبناء عليه؟ سيما مع دعوات التجديد في التعامل مع التفسير القرآني.

والدعوة الى التجديد دعوة مهمة إذا وُضعت في إطارها الصحيح ، وكان الهدف منها حل المشكلات وإزاحة العقبات التي تقف حائلاً أمام تقدم الأمة ونهضتها؛ فإن قضية التجديد أخطر القضايا المعاصرة، وأرفعها صوتاً وأشهرها دعاة وأنصارا.. وهذا ما دفعني إلى اختيار موضوع: (التجديد في التفسير "مفهومه ومظاهره ومخاطره")

ليكون عنوانا لبحثي الذي أشارك به في مؤتمر كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق تحت عنوان: تجديد العلوم العربية والإسلامية " بين الأصالة والمعاصرة".

هدف البحث:

يهدفُ البحث إلى بيان الهدايات القرآنية في شتى مجالات الحياة، وتعايش المفسِّر مع هموم الأمة وتفاعله مع قضاياها، ومواجهة التحديات والعقبات التي تواجه البشرية بالهدايات الربانية. وأن التجديد عود إلى منابع الدين الصافية ومصادره الأصيلة. والتجديد يكون في الطرائق والأساليب، لا في المقاصد والمضامين. والوقوف على معالم التجديد وما يتعلق به من ضوابط ومعايير، مع التنبيه على المخاطر التي تُرتكب باسم التجديد.

أسباب اختياري للموضوع:

١-عنايتي بدراسة مناهج المفسرين واتجاهات التفسير وتطوره عبر العصور.

٢-اهتمامي بالقضايا المعاصرة والمشكلات التي تعاني منها الإنسانية والتي لا سبيل لحلول ناجعة لها بعيدا عن هداية القرآن.

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيِّدنا رسول الله ﷺ، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد؛ فإنه لا يخفى على أحدٍ هذه المستجدات التي تمر بها أمتنا من معطيات التقدم الفكري والحضاري، وفي المقابل ما تعانيه من أزمات متلاحقة، وما تواجهه من فتن متعاقبة، وما تكابده من أعداء متربِّصين، يمكرون لها ليل نهار، لا سبيل إلى العصمة منها إلا بالرجوع إلى القرآن الكريم الذي أنزله ربُّنا هدى وتبياناً لكلِّ شيء، ولا شك أن الأمر الذي يساعد على الفهم السوي السليم للقرآن والانتفاع بما فيه هو حسن تفسيره بما يبين مقاصده ويوضح معانيه، ويكشف اللثام عما فيه من كنوز وأسرار.

والناظر إلى التراث التفسيري الذي بين أيدينا يرى أنه قد مرَّ بمراحل زمنية متعددة، ولكل مرحلة زمنية ظروفها ومخرجاتها، وكل تفسير من هذه التفاسير له طابعه الخاص الذي يميزه عن غيره. فكيف نتعامل مع هذه التفاسير؟ هل نتجاوزها باعتبارها تراثًا منقضيًا كان مناسبًا لحقبة تاريخية مضت ؟ أو نتمسك بها بطريقة تساويها بالنص القرآني المقدس؟ أو إن هناك خيارًا ثالثًا، والذي يمثل المنهج المعتدل في التعامل مع التراث التفسيري، وذلك من خلال العمل على تنقية هذا التراث والبناء عليه؟ سيما مع دعوات التجديد في التعامل مع التفسير القرآني.

والدعوة الى التجديد دعوة مهمة إذا وُضعت في إطارها الصحيح ، وكان الهدف منها حل المشكلات وإزاحة العقبات التي تقف حائلاً أمام تقدم الأمة ونهضتها؛ فإن قضية التجديد أخطر القضايا المعاصرة، وأرفعها صوتاً وأشهرها دعاة وأنصارا.. وهذا ما دفعني إلى اختيار موضوع: (التجديد في التفسير "مفهومه ومظاهره ومخاطره") ليكون عنوانا لبحثي الذي أشارك به في مؤتمر كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق تحت عنوان: تجديد العلوم العربية والإسلامية " بين الأصالة والمعاصرة".

هدف البحث:

يهدفُ البحث إلى بيان الهدايات القرآنية في شتى مجالات الحياة، وتعايش المفسِّر مع هموم الأمة وتفاعله مع قضاياها، ومواجهة التحديات والعقبات التي تواجه البشرية بالهدايات الربانية. وأن التجديد عود إلى منابع الدين الصافية ومصادره الأصيلة. والتجديد يكون في الطرائق والأساليب، لا في المقاصد والمضامين. والوقوف على معالم التجديد وما يتعلق به من ضوابط ومعايير، مع التنبيه على المخاطر التي تُرتكب باسم التجديد.

أسباب اختياري للموضوع:

١-عنايتي بدراسة مناهج المفسرين واتجاهات التفسير وتطوره عبر العصور.

٢-اهتمامي بالقضايا المعاصرة والمشكلات التي تعاني منها الإنسانية والتي لا سبيل لحلول ناجعة لها بعيدا عن هداية القرآن.

٣- تأثر الكثيرين في أوساط المجتمع بالعديد من الأفكار التي يبثها أدعياء التجديد سلبا للرد عليهم، وتثمين الاتجاه الصحيح للتجديد غاليا.

الدراسات السابقة:

من أهم الدراسات التي وقفت عليها وأفدت منها:

١-اتجاهات التجديد في تفسير القرآن في مصر، للدكتور محمد إبراهيم شريف، ط. دار التراث القاهرة ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م. قسم التفسير إلى ثلاث اتجاهات: الاتجاه الهدائي، الاتجاه الأدبي، الاتجاه العلمي.

٢- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، أ.د/ فهد بن عبد الرحمن الرومي ط. مؤسسة الرسالة، بيروت. تكلم فيه عن: الاتجاه العقائدي، الاتجاهات العلمية، الاتجاه الأدبي، الاتجاهات المنحرفة في التفسير.

٣- التجديد في تفسير القرآن فريضة شرعية وضرورة حضارية، أ.د/ أحمد محمد الشرقاوي، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مجلد ١٢، عدد ٣،٢٠١٦م. تناول فيه مفهوم التجديد، ضرورة التجديد، آفاق التجديد، مزالق التجديد في التفسير.

٤-التجديد في التفسير، ليحي الشطناوي، ثقافتنا للدراسات والبحوث مجلد ٦ عدد ٢٣ سنة ١٤٣١—٢٠١٠م. وفيه تناول: مفهوم التجديد لغة واصطلاح، أهمية تجديد الفهم لكتاب الله، ضرورة الاستجابة لدواعي العلم، أهمية التفسير العلمي

للقرآن وضوابطه، نماذج من الدراسات التي عنيت بالتجديد وأبرز الملحوظات عليها.

٥- اتجاهات التفسير في العصر الحديث، مصطفى محمد الحديدي الطيِّر، ط. مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ١٣٩١هـ. تناول فيه التفسير في مصر من محمد عبده وحتى مشروع التفسير الوسيط الذي أصدره مجمع البحوث الإسلامية آنذاك.

خطة البحث: يتكون البحث من تمهيد وخمسة مباحث وخاتمة على النحو التالي:

التمهيد: معنى التجديد والمراد به في التفسير.

المبحث الأول: حتمية التجديد ودواعيه.

المبحث الثاني: ركائز التجديد.

المبحث الثالث: ضوابط التجديد.

المبحث الرابع: مظاهر التجديد عند المفسرين.

المبحث الخامس: التفسير وخطورة دعاوى التجديد في العصر الحديث.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات. أما عن منهج البحث: فإنه يجمع بين المنهج الوصفي والتحليلي، ويعتمد على التأصيل والتوثيق، والتحليل والاستنباط.

تمهيد: معنى التجديد والمراد به في التفسير:

التجديد في اللغة: تصييرك سى؟ جديدًا، وتجدَّدَ الشيء: صار جَديداً، وأَجَدَّهُ، واسْتَجَدَّهُ، وجَدَّدَهُ، أي صيَّره جديدًا(١)؛ فالتجديد لغة: يعني وجود شيء كان على حالة ما، ثم طرأ عليه ما غيره وأبلاه، فإذا أعيد إلى حالته الأولى كان ذلك تجديدا(٢).

والتجديد اصطلاحاً: يدور حول ثلاثة معان؛ الأول: إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما(٣). والثاني: قمع البدع والمحدثات، وتنقية الإسلام مما علق به، والعودة به إلى ما كان عليه زمن رسول اللهﷺ وأصحابهﷺ(٤). والثالث: تنزيل الأحكام الشرعية على ما يجدّ من وقائع وأحداث، ومعالجتها بهدي الوحي الشريف(٥).

---

(١)الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح في اللغة، (٤٥٢/٢)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط. دار العلم للملايين – بيروت. والرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح (ص٥٤)تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط. المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا.

(٢)الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٩٢/١) ط. المكتبة العلمية – بيروت.

(٣) تعريف العلقمي فيما نقله المناوي، زين الدين، محمد عبد الرؤوف ، فيض القدير شرح الجامع الصغير (٢٨١/٢) ط. المكتبة التجارية الكبرى – مصر.

(٤) العظيم آبادي، محمد شمس الحق، عون المعبود شرح سنن أبي داود (٢٦٠/١١) ط. دار الكتب العلمية – بيروت. وانظر: فيض القدير (٢٨١/٢).

(٥) عبد الفتاح محجوب محمد ابراهيم، الدكتور حسن الترابي و فساد نظرية تطوير الدين (ص٥٣) ط. القاهرة، بيت الحكمة. وعمر عبيد حسنة، الاجتهاد للتجديد سبيل الوراثة الحضارية (ص٢٠) ط. المكتب الإسلامي للطباعة والنشر.

من خلال هذه المعاني السابقة يمكن صياغة تعريف جامع للتجديد على أنه: إحياء ما اندرس من الدين، وتنقيته من البدع والمحدثات، وتنزيله على واقع الحياة ومستجداتها.

ومن ثم فإن التجديد في التفسير يعني: "تجديد الفهم لكتاب الله تعالى، على ضوء واقع المسلمين المعاصر، وفق قواعد التفسير"(١).

(١) يحي الشطناوي، التجديد في التفسير، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، حلب، مجلد٦، عدد٢٣، سنة١٤٣١ – ٢٠١٠، ص١١.

المبحث الأول: حتمية التجديد ودواعيه

إن الدعوة إلى التجديد حاجة تحتمها طبيعة هذا الدين العظيم، وتفرضها الخصائص التي خصّ الله بها هذه الشريعة الغرّاء، ويمكننا إدراك تلك الحقيقة من خلال الوقوف على تلك الدواعي:

أولًا: أن الرسالات السماوية السابقة انحصرت كل منها ببقعة من الأرض، واختصت بأمة من الأمم، ثم أعقبها ما نسخها أو جددها، لكن رسالة النبيﷺ الخاتمة امتدت لتشمل الأرض كلها وللناس جميعا، فلا رسالة بعدها ولا نبي بعده. والناظر في أحوال المسلمين يرى ابتعادهم عن هدي الوحي وضعف أنوار النبوة فيهم بقدر تقادم الزمان وتباعده؛ فصار التجديد أمرا ضروريا، ومطلبا ملحا يصادف سنة محمودة، فقد أخبرنا رسول اللَّه ﷺ كما في حديث أبي هريرة ﷺ عَنْه أنه قال: « إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا »(١).

فالمسلمون اليوم يجدون أنفسهم أحوج ما يكونون إلى هؤلاء المجددين الذين يحيون الدين في نفوسهم بعد موات، ويوقظونهم بعد سبات، وينفضوا عن الدين ركام البدع والمحدثات؛ فيعودون بهم إلى القرآن الكريم علما وتدبرا واستنباطا واعتقادا وسلوكا، من أجل استئناف السير الحضاري، وتقويم ما ظهر من اعوجاج وتحريف في الفهم والسلوك.

---

(١) أخرجه أبو داود، سليمان بن شعث السجستاني الأزدي، السنن، كتاب الملاحم باب ما يذكر في قرن المائة، (١٠٩/٤) (٤٢٩١) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت. والحاكم في المستدرك، كتاب الفتن والملاحم(٥٦٧/٤) وسكت عنه الذهبي، ط. دار الكتب العلمية – بيروت. وقال السيوطي: "اتفق الحفاظ على أنه حديثٌ صحيحٌ" الجامع الصغير للسيوطي(٧٤/١) ط. دار الكتب العلمية، بيروت.

ثانيًا: أن نصوص الشريعة محدودة والحوادث التي تقع ممدودة؛ فلا بد –والحالة هذه– من فتح باب الاجتهاد والتجديد بحيث يستطيع مجتهدو كل عصر أن ينزلوا النصوص الشرعية، على ما يستجد من أحداث في زمانهم، ويتغير من أحوال الناس في بيئاتهم. يقول الإمام الشاطبي: " فلأن الوقائع في الوجود لا تنحصر؛ فلا يصح دخولها تحت الأدلة المنحصرة، ولذلك احتيج إلى فتح باب الاجتهاد من القياس وغيره، فلا بد من حدوث وقائع لا تكون منصوصا على حكمها، ولا يوجد للأولين فيها اجتهاد، وعند ذلك؛ فإما أن يترك الناس فيها مع أهوائهم، أو ينظر فيها بغير اجتهاد شرعي، وهو أيضا اتباع للهوى، وذلك كله فساد؛ فلا يكون بد من التوقف لا إلى غاية، وهو معنى تعطيل التكليف لزوما، وهو مؤد إلى تكليف ما لا يطاق؛ فإذا لا بد من الاجتهاد في كل زمان؛ لأن الوقائع المفروضة لا تختص بزمان دون زمان"(١).

ثالثًا: ومن الدواعي التي تجعل التجديد لازما، هو خاصية الشمول الذي تتصف به الشريعة، الشمول الذي يتناول الزمان والمكان والإنسان، قال الله تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[الأنبياء: ١٠٧]، وقال سبحانه:﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾[الأعراف :١٥٨]، وقال: ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ ﴾[النحل:٨٩]، فإن هذا الشمول ليؤكد على الحاجة الماسة إلى وجود المجتهدين والمجددين الذين يدلون الناس على صراط ربهم المستقيم، ويرشدونهم إلى نور القرآن المبين، سيما مع طبيعة تركيب الأمة الإسلامية من أجناس شتى، الأمر الذي يسبب وضعا صعبا وخطيرا إذا لم توجد الضمانات الكافية

(١) الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات في أصول الشريعة (٣٩/٥) تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن، ط. دار ابن عفان.

لتقديم الإسلام بصورته الصحيحة التي نزل بها، وحمايته من تحريف العقائد والأفكار المتشددة الهدامة([1]).

رابعًا: ومن الدواعي -أيضا-: أن هذا العصر يشهد تقدما كبيرًا في شتَّى مجالات العلم، وكَثُرَت المخترعات، وتزاحمت الإنجازات الماديَّة التي سهَّلت وسائل التواصل وسبل التقارب بين الأمم والتعارف بين الشعوب، مما يسَّر سبل الدعوة ودَعَّم وطَوَّر من وسائلها، وضاعف من قدر التَّبِعةِ وحجمِ المسؤولية على عاتِقِ العلماءِ وكاهلِ الدعاة بوجهٍ عام، والباحثين والدارسين في ميدان التفسير بوجهٍ خاصٍّ؛ إذ إنَّ هذا التطوُّرَ يستوجب نهضة في أساليب المفسرين وطرائقهم، وتطوُّرا في مناهجهم، يواكب متطلباتِ هذه المرحلة وواجبات هذا الوقتِ، كما يواجه التحديَّات التي تعترض طريق أمتنا وتُعطِّل مسيرها نحو أهدافها؛ ومن ثم يأتي دور المفسِّرين والباحثين في تفسير كتاب الله تعالى في هذا المعترك ويبرزُ دورُهم الحيويُّ، حيثُ مواجهةِ التحديات، وتذليل الصعوبات، وإزاحة العوائقِ، وشحذ الهمم، وتنوير الأذهان، بهذا الزاد الرباني، الذي قال فيه الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩]([2]).

(١) القيسي، مروان إبراهيم، معالم الهدى إلى فهم الإسلام (ص١٠٨) ط. المكتبة الإسلامية، عمّان.

(٢) أحمد محمد الشرقاوي، التجديد في تفسير القرآن فريضة شرعية وضرورة حضارية، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مجلد ١٢، عدد ٣،٢٠١٦م، بتصرف.

المبحث الثاني: ركائز التجديد.

تبين مما سبق أن التجديد ضرورة حتمية وحاجة ملحة، لكن هذا يقتضي أن يكون داخل الشريعة مقومات وركائز يقوم عليها التجديد، ويستند عليها عمل المجددين، والمتأمل في الشريعة الإسلامية يجد أنها احتوت على العديد من الخصائص والصفات التي تُعدّ الركائز الأساسية للتجديد، وهي كما يلي:

الركيزة الأولى: الجمع بين خاصتي الثبات والمرونة:

إن الوحي لا تحدده الأبعاد الزمانية أو المكانية، فهو وحي مطلق متعلق بالإنسان حيث وُجد الإنسان، فكما أن هناك جانبًا ثابتًا في الإنسان فكذلك الوحي السماوي، ففي الدين ما لا يحتمل الاجتهاد ولا التغير كما أن هناك من المجالات ما يتسع فيه باب المرونة والتغير([1])، وللوقوف على ضابط ذلك لابد من التفصيل الآتي:

أولًا: خاصية الثبات: فهو ما لا يتغير بتغير الزمان أو المكان، ولا يسوغ أن يكون محل اجتهاد، فأحكامه ثابتة باقية، وتتجلى خاصية الثبات في العقائد والحقائق الإيمانية، والأخبار الغيبية، وغيرها من ثوابت الإيمان التي لا تقبل التغيير ولا التطور؛ لأنها تقوم على خصائص يقينية ثابتة أجمع عليها الأنبياء والمرسلون. وكذا الأصول والكليات ومقاصد الشريعة؛ إذ لا يُعقل أن يكون مقصد الشرع المحافظة عليها في وقت وإهدارها في وقت آخر. والأخلاق والفضائل العامة التي لا يُعقل أن تكون في وقت من الأوقات رذائل. وكذا العبادات، وأحكام المقَدَّرات بحجة رعاية مصالح العباد([2]).

---

(١) الأمين، عبد العزيز مختار إبراهيم، مجالات التجديد في الدين عرض ونقد (ص١٤)، ط. مكتبة الرشد، الرياض.

(٢) اليوبي، محمد سعد، مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية (ص٤٣٨) ط. دار الهجرة. والقيسي، معالم الهدى (ص١٠٨) باختصار.

وبالجملة: فكل الأحكام التي مصدرها نصوص القرآن والسنة مباشرة، مما لا يختلف الناس في فهمها ولا تأويلها لا يُغيرها تبدل الزمان والمكان والأحوال. يقول ابن حزم: " إذا ورد النص من القرآن أو السنة الثابتة في أمر ما على حكم ما، ثم ادعى مدع أن ذلك الحكم قد انتقل، أو بطل؛ لتبدل زمانه أو لتبدل مكانه، فعلى مدعي انتقال الحكم من أجل ذلك أن يأتي ببرهان من نص قرآن أو سنة عن رسول الله ﷺ ثابتة على أن ذلك الحكم قد انتقل أو بطل؛ فإن جاء به صح قوله، وإن لم يأت به فهو مبطل فيما ادعى"(١).

والتجديد الحقيقي في هذه الثوابت يكون ببيانها، والدعوة إلى التمسك بها، والعمل بأحكامها، والتحذير من تعطيلها وترك العمل بها، أو تبديلها بحجة المصلحة ومراعاة روح العصر.

أما خاصية المرونة: فهي ما أودعه الله في هذه الشريعة من عوامل الخصوبة والحيوية والثراء ما يجعلها صالحة للنماء والتجدد الذاتي. وتتجلى هذه المرونة في نص الشريعة على القواعد الكلية دون التعرض للتفصيلات، خاصة فيما يتعلق بميادين الحياة المتغيرة، تاركة لولاة الأمور وأئمة الدين مجال التأكد من تحقيقها وتطبيقها بالوسائل المتاحة والمناسبة في كل عصر ومصر(٢).

الركيزة الثانية: رعاية الضرورات والأعذار والظروف الاستثنائية؛ فالتيسير روح يسري في جسم الشريعة، كما تسري العصارة في الشجرة الحيّة، والأدلة على رفع الحرج

---

(١) ابن حزم، علي بن أحمد، الإحكام في أصول الأحكام(٢/٥) تحقيق: أحمد شاكر، ط. دار الآفاق الجديدة، بيروت.

(٢) الأشقر، عمر سليمان، خصائص الشريعة الإسلامية (ص٦١) ط. دار النفائس.

في هذه الأمة بلغت مبلغ القطع(١)، كقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٨٩]، وقوله: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾[البقرة: ١٨٥]، وقوله: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ﴾[النساء: ٢٨]، فهذه الأدلة وغيرها هي ركيزة من ركائز التجديد، فلذلك ينبغي على المجدد رعايتها؛ وأن يبين للناس الرخص عند الأعذار، ليأتي المكلفون من الطاعة بما يستطيعون.

الركيزة الثالثة: تعليل الأحكام الشرعية؛ فالأحكام الشرعية على قسمين:

الأول: أحكام تعبدية غير معقولة المعنى: وهذا يجب على المسلم الخضوع لها وإظهار الطاعة والتسليم المطلق تجاهها.

والثاني: أحكام معقولة المعنى تتيح للمجتهدين والمجددين توسيع صورها والقياس عليها وبناء الأحكام على عللها ومعانيها، وهي الغالب على أحكام الشريعة. يقول الخطيب البغدادي: " التعبد من الله تعالى لعباده على معنيين: أحدهما: التعبد في الشيء بعينه لا لعلة معقولة ، فما كان من هذا النوع لم يجز أن يُقاس عليه، والمعنى الثاني: التعبد لعلل مقرونة به، وهي الأصول التي جعلها الله تعالى أعلاما للفقهاء ، فردوا إليها ما حدث من أمر دينهم ، مما ليس فيه نص بالتشبيه والتمثيل عند تساوي العلل من الفروع بالأصول"(٢).

وقد استطاع المجتهدون من خلال خاصية تعليل الأحكام الشرعية أن يستنبطوا مصادر تشريعية عديدة، كالقياس والاستحسان والعرف والمصالح المرسلة والذرائع

---

(١) الموافقات (١/٥٢٠).

(٢)البغدادي، الخطيب أحمد بن علي، الفقيه والمتفقه (١/٥٤٨) تحقيق: عادل الغرازي، ط. دار ابن الجوزي – السعودية.

والاستصحاب ونحوها، وهذا كله فَتَحَ ويفتح الباب واسعا أمام المجتهدين والمجددين لمعالجة كل ما جد ويجد من أحوال الناس في ضوء القرآن الكريم والسنة الصحيحة.

الركيزة الرابعة: مراعاة الشريعة لمصالح العباد، والمصلحة هي المنفعة التي قصدها الشارع الحكيم لعباده، من حفظ دينهم، ونفوسهم، وعقولهم، ونسلهم وأموالهم([1])، فكل ما شرعه الله إنما يهدف إلى سعادة العباد وتحقيق الخير لهم في العاجلة والآجلة، " وكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجَوْر، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث؛ فليست من الشريعة وإن أُدخلت فيها بالتأويل"([2]).

الركيزة الخامسة: مراعاة الشريعة لأعراف الناس وعاداتهم:

إن جانبًا ليس بالقليل من الأحكام الشرعية، يرتبط ارتباطًا وثيقًا بأعراف الناس، التي لا تتعارض مع نصٍ صريح أو قاعدة عامة، وهذا من المرونة التي تحلت بها الشريعة، مثال ذلك: مراعاة العرف في مسألة مهور الزواج وتقسيمها، ونفقة الزوجة بحسب ما ينسجم مع عرف الناس([3])، وكل ما تكرر من لفظ المعروف في القرآن من نحو قوله تعالى:: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾[النساء:١٩]، فالمراد ما يتعارفه الناس من مثل ذلك الأمر، ومنها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ

(١)البوطي، محمد سعيد رمضان، ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية (ص٨٧) ط٤، دار الفكر، دمشق.

(٢) ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤١/١) ط. دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية.

(٣) عدنان، محمد أسامة، التجديد في الفكر الإسلامي (ص٣٦) ط. دار ابن الجوزي.

صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٨﴾ ﴾[النور:٥٨]، فالأمر بالاستئذان في الأوقات التي جرت العادة فيها بالابتذال ووضع الثياب، فابتنى الحكم الشرعي على ما كانوا يعتادونه(١). والأمثلة على مراعاة الشريعة لأعراف الناس وعاداتهم كثيرة؛ فالواجب الارتكاز على هذه الركيزة- وكذلك بقية ما سبق ذكره من الركائز- في أمر التجديد فيستقيم للمجدد أمره، ويتحقق مراده.

(١) المرداوي، علي بن سليمان الحنبلي، التحبير شرح التحرير في أصول الفقه(٥٣/٨) تحقيق: عبدالرحمن الجبرين، ط. مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠٠ م.

المبحث الثالث: ضوابط التجديد

لما كان القرآن الكريم رسالة عالمية للبشر كافة في كل عصر وزمان، فيلزم أن تتجدد دراسته وبيانه حسب حاجات الإنسان؛ إذ لم يترك القرآن حاجة من حاجات الإنسان العظيمة أو اليسيرة إلا وعالجها بلا نقص، لكن هذا التجديد يجب أن يكون له من الضوابط والشروط ما يُنظمه ويضبطه، والمراد بهذه الضوابط: الحدود التي يقف عندها المجدد ولا يتجاوزها، فيجب عند دراسة التجديد من تحديد الضوابط والأسس التي تحمي هذا القرآن العظيم من عبث العابثين، وتآمر المتآمرين، فعلى أساسها ينطلق المجدد، ويرقى في مراتب التجديد ملتزمًا منضبطًا، وهذه الضوابط هي:

أولًا: مراعاة مقاصد القرآن الكريم:

إن مراعاة المجدد لمقاصد القرآن الكريم أمر ضروري؛ لكون" مراد اللهِ مِن كتابه هو بيان تصاريف ما يَرجع إلى حفظ مَقاصد الدين، وقد أودع ذلك في ألفاظ القرآن التي خاطبنا بها خطَابًا بَيِّنًا وَتَعَبَّدَنَا بِمَعْرفة مُراده والاطلاعِ عليه فقال: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾[ص: ٢٩]... فغرض المفسر بيان ما يصل إليه أو ما يقصده من مراد الله تعالى في كتابه بأتم بيان يحتمله المعنى ولا يأباه اللفظ من كل ما يوضح المراد من مقاصد القرآن، أو ما يتوقف عليه فهمه أكمل فهم، أو يخدم المقصد تفصيلا وتفريعا، فلا جرم كان رائد المفسر في ذلك أن يعرف على الإجمال مقاصد القرآن مما جاء لأجله"([1]).

---

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير(٤١/١) ط. دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس، ١٩٩٧م.

يقول الغزالي- في حصر مقاصد القرآن-:" انحصرت سور القرآن وآياته في ستة أنواع: ثلاثة مُهمَّة، وثلاثة مُتِمَّة؛ أما الثلاثة المهمة؛ فهي: تعريف المدعو اليه، وتعريف الصراط المستقيم الذي تجب ملازمته في السلوك اليه، وتعريف الحال عند الوصول اليه. وأما الثلاثة المغنية المتمة - فأحدها تعريف أحوال المحبين للدعوة ولطائف صنع الله فيهم، وتعريف أحوال الناكبين والناكلين عن الاجابة، وكيفية قمع الله لهم وتنكيله لهم وسره ومقصوده الاعتبار والترهيب. وثانيها حكاية أحوال الجاحدين وكشف فضائحهم وجهلهم بالمجادلة والمحاجة على الحق. وثالثها تعريف عمارة منازل الطريق وكيفية أخذ الزاد والأهبة والاستعداد"(١).

ومما يزيد الكلام عن مقاصد القرآن وضوحا ما عدَّه بعض الباحثين أحد مفاتيح التعامل مع القرآن الاهتمام بأغراضه الأساسية وأهدافه الرئيسية ومقاصده العامة، وفي ذلك يقول: إن أهداف القرآن الأساسية لا تكاد تخرج عن أربعة:

١- الهداية إلى الله سبحانه وتعالى؛ الهداية الرشيدة الشاملة للفرد بكل كيانه وجوانب حياته، والهداية الشاملة للأمة بكل أفرادها ومرافقها ومجالاتها وحياتها، والهداية الشاملة للإنسانية كلها إلى ربها سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الشورى: ٥٢].

٢-إيجاد الشخصية الإسلامية المتكاملة المتوازنة؛ يضيء لها جوانب حياتها بالنور الهادي، ويمدها بالوسائل والمناهج التي تعينها على رسالتها وتساعدها على الاستمرار

(١) أبو حامد، محمد بن محمد، جواهر القرآن(ص٢٣) تحقيق: د. محمد رشيد رضا القباني ط. دار إحياء العلوم - بيروت ط. الأولى ، ١٩٨٥م.

في أدائها، وقد نجح القرآن نجاحا بارزا في تحقيق هذا الهدف في حياة الصحابة الكرام، الذين كان الواحد منهم يعيش بالقرآن وفيه وله. كما أنتج في العصور اللاحقة رجالا قرآنيين في صفاتهم الإسلامية القرآنية وما زال القرآن جاهزا وقادرا على العطاء والإخراج.

٣- إيجاد المجتمع الإسلامي القرآني الأصيل؛ فلقد أوجد القرآن مجتمع الصحابة الأول- المجتمع القرآني الرائد الفريد- وهو قادر على إيجاد المجتمعات وبنائها وتعاهدها إذا صدقت في الإقبال عليه والتفاعل معه والحياة به ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾[الأنفال: ٢٤].

٤-قيادة الأمة المسلمة في معركتها مع أعدائها المتربصين بها، فالقرآن يأخذ بيد هذه الأمة إلى ميدان المعركة، ويوقفها فيه، ويمدها بوسائل النصر، ويعرفها مكائدهم ومكرهم، ويضع أيديها على عدة النصر، بحيث يربطها بحبل ربها ويوثق صلتها بإسلامها .. فتخرج من معركتها المفروضة عليها- بقيادة القرآن وتوجيهاته وهدايته- منتصرة عزيزة حرة كريمة(١).

فعلى المفسر: أن يحدد أهدافَه من كتابة التفسيرِ قبل أن يَشرع فيه، وأن تكون تلك الأهداف مواكبة لأهدافِ القرآنِ ومقاصِدِهِ.

ثانيًا: تنزيل الآيات على الواقع:

إن غوص المفسر في معاني القرآن الكريم والفهم العميق لآياته يُمَكِّنه من تقديم الحلول الناجعة لمشكلات لبشرية النفسية والاجتماعية، والمعضلات الأخلاقية

(١) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، مفاتيح للتعامل مع القرآن (ص٧٦-٨٢) ط. دار القلم – دمشق، ط: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، باختصار.

والاقتصادية، ويتمّ تحقيق ذلك من خلال تحديد المشكلة القائمة، ثم تتبع آيات القرآن، بحيث تتبيّن لذوي الشأن أدلة جديدة ورؤى مستفيضة، لتنزيلها على الواقع المراد؛ لتفتيق شيء من أبعاد القضية المطروحة؛ ذلك أن القرآنَ الكريمَ يتواكبُ مع كل عصرٍ ومِصر ويتناسب مَع كُل جيل وقبيل، قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[النحل: ٨٩]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩].

فكتاب الله هو الهادي إلى كل خير ، والمعين على فهم كل قضية ، سيما مع "وجود أمور مستجدة جاءت بعد إن لم تكن في العصور الماضية، فلا مناص من بيان حكم القرآن في هذه القضايا، وذلك باستخلاص الأحكام التي تتعلق بهذه القضايا والمستجدات على اختلاف تنوعها، وهي محاولة جادة لمسايرة أفكار الناس، ومتابعة لاهتمامهم وملاحقة لقضايا العصر، التي أصبح جيلنا في حيرة من أمره يتشوف لرأي الدين فيها، فلو قدمت الأبحاث القرآنية بطريقة تناسب في أسلوبها طرائق العصر ومفاهيمه لوجد الناس فيها السكن لخواطرهم والراحة لأفكارهم"(١).

ومن ثم فإنه ينبغي على المجدد أن يُولِي اهتمامَه للقضايا الحيويَّة والنقاطِ الساخنة في واقع أمتنا، وذلك باعتنائه بالتفسير الموضوعي الذي يُمكِّنه من جمع شتات الموضوعات وإحاطته بأطرافها، واستنطاق مدلولات الآيات لتغيير الواقع الأليم الذي نحياه. يقول الدكتور أحمد الكومي:" تتجلى أهمية التفسير الموضوعي في عصرنا أكثر ممَّا

(١)الشوكة، أحمد عبد الكريم، أهمية التفسير الموضوعي ومنهجيته في معالجة القضايا المستجدة (ص٢٣) مجلة كلية الإمام الأعظم – كلية الآداب الجامعة العراقية، العدد الثامن عشر لسنة ١٤٣٥ هـ- ٢٠١٤ م.

تجلت في غيره؛ ذلك أننا نعيش اليوم عصر القضايا المتلاحقة، وقد أقرَّ لسان حال الحضارة المادية بإفلاسها في مواجهة تحديات الحياة، وإنسان العصر لم يعد قادراً على مواجهة المشكلات التي صنعها .. فالعصر الذي نعيشه يحتاج إلى ذلك النوع من التفسير إذ كان في سلوكه إدراك المقصود من أقرب الطرق والوصول إلى الحقيقة بأسهل الوسائل، وليس يقوى على ذلك إلا سلاح قوي واضح سهل متصل بكتاب الله تعالى"(١).

ثالثًا: النظرة الكلية الشاملة:

إن القرآن الكريم كتاب شامل، ومنهاج حياة متكامل، وله مهمة واقعية ، ورسالة حضارية؛ فعلى المفسر أن تكون له نظرة شاملة للقرآن الكريم، وذلك من خلال مدارسته له وحسن تدبره فيه، فقبل أن يبدأ بعملية الشرح والتفسير عليه أن يعرف معاني القرآن كلة معرفة إجمالية متكاملة، وأن تكون عنده النظرة الشاملة، فإنها هي المفتاح الأول للتعامل مع القرآن، وهى المنطلق الأساس لفهمه.

إن بعض الناظرين إلى القرآن والمتعاملين معه والقارئين له ينظر له نظرات جزئية فرعية هامشية ثانوية، فهو- عند بعضهم- كتاب للتعاويذ والرقى، لا يعرفون عنه إلا هذا !! وعند آخرين نظرتهم له على أنه نزل للأموات وليس للأحياء ، فلا يلتفتون إليه إلّا عند ما يموت الميت، فيحضر القراء إلى البيوت والمقابر في مناسبات الموت وذكريات الموتى، وتوقف الإذاعة إرسالها العادي وتقصره على بث القرآن عند موت مهم .. أمَّا أن يتعامل الأحياء مع القرآن، ويبحثوا عن أغراضه وأهدافه ليحققوها فيهم

---

(١) الكومي، أحمد السيد، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم (ص٣٩) تحقيق ومراجعة قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بطنطا، ١٤٤٠هـ-٢٠١٨م.

وفى مجتمعاتهم، فهذا ما لم يفكر فيه هؤلاء!! ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [يس: ٦٩-٧٠].

يقول الدكتور لطفي الصباغ: "لابد من أن تتوافر لمبتغي التفسير دراسة شاملة مفصلة ونظرة عامة لجوانب هذا الكتاب الكريم، وهذه القاعدة منطلق في فهم أي نصٍّ فهما صحيحا، فلا يجوز أن نطيل الوقوف أمام جملة من النص، ونستنبط منها أحكاما ونغض بصرنا ونغلق فكرنا عن الجمل الأخرى " (١).

رابعًا: ضرورة إبراز إعجاز القرآن العلمي بضوابطه:

إن القرآن الكريم هو الدستور الخالد، والعطاء المتجدد، والحجَّة الباهِرَة، والمعجزة الباقية بلفظه ونظمه وبلاغته، ،كما أنه كتابُ الله المعجز في حديثه عن آيات الأنفس والآفاق وسبقِهِ لجميع العلوم ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت:٥٣]، "والناظر في القرآن الكريم يجد ما يزيد على ألف آية تتحدث عن معالم هذا الكون، وتذكر مفرداته.. وترسم طريق الهداية للبشر من المعارف حقائق تدهش أهل التخصص في تلك العلوم، فيستقر في عقولهم من جراء ذلك ما يرسخ يقينهم، ويثبت إيمانهم-إن كانوا مؤمنين أصلا- أو يقيم الدليل عندهم على حق كانوا في شك فيه- وهو صدق القرآن- إن كانوا غير مؤمنين، فيهتدون إلى الإسلام، وبذلك يتحقق المقصود النهائي من القرآن وهو الهداية، أو تقوم الحجة عليهم في هذا الباب كما قامت في غيره من أبواب أخرى إن ظلوا على كفرهم مقيمين"(٢).

---

(١) الصباغ، محمد بن لطفي، بحوث في أصول التفسير (ص٢٤٤) ط. المكتب الإسلامي- بيروت، ط. الأولى.

(٢) جبريل، محمد بن السيد راضي، عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم(ص٧٠) ط. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،١٤٢١هـ.

فالواجب على المفسرين الاهتمام بإبراز هذا الجانب من جوانب الإعجاز القرآني، وهو الإعجاز العلمي، وذلك بإمعان النظر والفكر في هذه الآيات، تلمسا لجوانب القدرة الإلهية، والاستعانة بها في دعوة الناس إلى دين الله سبحانه، شريطة أن لا يكون هذا لإعجاز العلمي قائما على النظريات والفرضيات، بل لا بد وأن يُبنى على الحقائق العلمية التي بلغت يقين المعاينة والمشاهدة.

يقول الدكتور زغلول النجار:" أما بالنسبة للإعجاز العلمي، فلا يجوز لنا أن نُوَظِّف فيه إلا الحقائق العلمية القاطعة؛ لأن الإعجاز نريد به أن نثبت للناس مسلمين وغير مسلمين أن هذا القرآن العظيم الذي نزل على نبي أمي في أمة أمية قبل ألف وأربعمائة سنة يحتوي من حقائق هذا الكون على ما لم يستطع الإنسان أن يتوصل إلى معرفته إلا بعد جهود مضنية وقبل عشرات السنين فقط"([1]).

لكن يجب على من جال في هذا الميدان أن يلتزم بالأمور التالية تجنبا للزلل، وهي:

١-أن المفسر للقرآن على هذا النحو ينبغي أن يصوغ عبارته بطريقة تفهم بأن ما قاله إنما هو فهمه من الآيات الذي استطاع أن يتوصل إليه، فلا يقطع بأن ما فهمه من الآية هو مراد الله تعالى منها([2]).

٢-عدم الخلط بين النظريات محلِّ البحثِ والدراسة وبين الحقائق العلمية الثابتة، فتراهم يُفسِّرون القرآن بالنظرياتِ، مع كونِهَا عرضةً للتغييرِ أو التعديلِ.

٣- الحذر من التكلُّف في تحميل النصوص ما لا تحتمله حرصًا على ربطها باكتشافِ علميٍّ.

---

(١) مجلة (العلميون) عدد يونيو سنة ١٩٩٧(ص ٤٨) نقلا عن المصدر السابق.

(٢)عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم(ص٧٢).

٤- لا يصحُّ أن نجعل القرآن تبعا والعلم التجريبيَّ أصلا وحكما، بل العكس هو الصحيح.

٥- الخوضُ في هذا الباب دون معرفة بقواعد التفسير وأصوله يؤدي إلى وقوع الخطأ والقصور في الفهم([1]).

خامسا: مراعاة سمات الخطاب القرآنيِّ وتنوُّعه:

القرآنُ الكريم خطاب الله عزَّ وجلَّ لجميع الناس على اختلاف مداركهم وتنوُّع ثقافاتهم، وتفاوُت أعمارِهم، واختلاف ألسنتهم وأجناسهم، خطاب للعربيِّ والعجميِّ، وللقارئ والأميِّ، والذكر والأنثى. ووجوه الخطاب في القرآن الكريم كثيرة ومتنوعة، عدَّها العلماء المحققون نحو نيف وثلاثين نوعا، بل قال الزركشي في البرهان:" والخطاب في القرآن يأتي على نحو من أربعين وجها"([2]). فقد خاطب الله سبحانه الناس بصيغة العموم في بعض آيات القرآن، وخاطب الأنبياء والمرسلين عليهم السلام في بعض آخر، وخاطب أصناف الناس من المؤمنين والكفار والمشركين، وأشار إلى المنافقين في آيات أخرى، وهذا الأمر يُعلم بالتتبع والاستقراء لآيات القرآن الكريم([3]).

وإذا تأملنا في دقة الجانب الخطابي والذي خوطب به الناس عامة، والمؤمنون خاصة، وجدنا أن القرآن يدعو إلى المطالب العالية، والفضائل السامية، والتشريعات الهادية الموجهة إلى كل خير، يخالط القلب ويخاطب الوجدان وينادي الفطرة، ويناجي

---

(١) الغزالي، محمد السقا، نحو تفسير موضوعي (ص ٣٩٣) ط. دار الشروق.

(٢)الزركشي، محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن(٢/٢١٧) ط. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٣٣هـ.

(٣)ملك، خالق داد، الخطاب القرآني وأنواعه(ص١٤) مجلة القسم العربي جامعة بنجاب، لاهور- باكستان، العدد الثاني والعشرون، ٢٠١٥م.

النفس، ويُلامِس الحسَّ.. والدعوة إلى هذه المطالب والفضائل، والأخلاق والتشريعات في الأسلوب الخطابي القرآني لا تقف أمام نوع واحد، أو صورة واحدة من صور الدعوة، بل نوَّع بين أساليب الخطاب فيه؛ فعلى المفسِّر مراعاة هذا التنوع في الخطاب، فلا يغفل عن جانبٍ منه، بل يجعل تفسيره جامعا لكل هذه الأساليب الدعوية القرآنية التي تستوعب جميع المخاطبين.

سادسًا: الجمع بين الأصالة والتجديد في التفسير:

الأصالةُ في التفسير: هي الركيزة الأساسية والدُّعَامَة التأسيسية لهذا البناءِ، ونعني بذلك الرجوع إلى المصادرِ الأصيلة في التفسير، فلا يمكن أن يفسر القرآن بعيدا عما كتبه المتقدمون من هذا التراث الذاخر الذي أثرى مكتبة التفسير وعلوم القرآن، سواء التفسير بالمأثور أو بالرأي المحمود.. وأول ما يَبدأ به المفسر تفسير القرآنِ بالقرآنِ ، فالقرآن الكريم يفسِّر بعضُهُ بعضًا، فحين نجمعُ الآياتِ في الموضوعِ الواحدِ تتولَّدُ لدينا كثيرٌ من المعاني والاستنباطاتِ، وكذا تفسيرِ القرآنِ الكريم بالسنةِ النبوية، فهي الشارحة والمبينةُ والمقررة لأحكامه ومعانيه ومقاصده ومراميه وقصصه وأمثاله. ومن المصادر الأصيلة- أيضا- تفسير القرآن الكريم بأقوال الصحابة ﷺ؛ فهم حملة الشريعة الذين عاصروا وقائع التنزيل، وشاهدوا تنزلات الوحي، وأكثر الأمة علما وأقلها تكلفا.. وكذلك الرجوع إلى تفسير التابعين فهم تلامذة الصحابة وحاملو علمهم وفقههم، وقد اجتهدوا بين أيديهم فأقروهم على اجتهادهم.

والمراد بالتجديد في التفسير: "التجديد الصحيح السليم، المنضبط بالضوابط العلمية، الملتزم بالأسسِ المنهجية، التجديد القائم على الإبداع والتحسين والجِدة، والاستفادة من العلوم والمعارف والثقافات المعاصرة، وتوسيع أبعاد معاني الآيات القرآنية، وتنزيلها على الواقع الذي تعيشه الأمة، والعمل على حلِّ مشكلات الأمة،

على هدي حقائق القرآن الكريم، ولا نعني بالتجديد الخروج على القواعد والضوابط والأسس العلمية المنهجية، والانفلات والفوضى، والقولِ في القرآنِ بدونِ علمٍ وتحريفِ معاني الآياتِ ودلالاتِهَا لتوافقَ أهواءَ ومقررات الغربيين أو الشرقيين المخالفة لكتاب الله تعالى"(١).

فالتجديد المنشود في التفسير القرآني هو نوع من التغيير المنهجي المنضبط بقيم الكتاب والسنة، من غير إلغاء للأصل، وإنما هو عودة إلى التراث التفسيري، بعيداً عن إسقاطه أو تقديسه وإعادة تنزيله على الواقع.

سابعًا: بيان الحكمة التشريعية:

إن المفسر الذي ينشد التجديد عليه ألا يغفل عن إبراز الحِكم التشريعية وخصائص التشريع القرآني؛ لبيان سماحة الإسلام وعظمته ويسره وإنصافه وصلاحه لكل العصور، ليكون ذلك زيادة اليقين والاطمئنان، ويدفع إلى مزيد من التنفيذ، فقد قضى الله برحمته في خلقه وعدله فيهم أنَّه ما قصد بِحِكَم شرعه إلا مصلحتهم؛ لأنَّهم هم الفقراء إليه، وهو سبحانه الغني الحميد، وهذه المصلحة التي قصدها الشارع بالحكم، هي حكمة تشريع الحكم، وهي إما تحقيق نفع للناس، أو رفع حرج عنهم، فكلُّ حكم شَرَعه الله تعالى فحكمة تشريعه مَنْفعة للناس، أو درء مَفْسدة عنهم، وإلى هذا أرشد الله سبحانه في كثيرٍ من آي الذكر الحكيم، فقال تعالى في إقامة الصلاة: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾[العنكبوت:٤٥]، وقال في إيتاء الزكاة: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة:١٠٣]، وقال سبحانه في المحيض:﴿قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ﴾[البقرة:٢٢٢].

---

(١) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين (ص٤٥) ط. دار القلم- دمشق.

فمما لا شك فيه أن بيان المفسر للحكمة التشريعية التي قصد الشرع تحقيقها من خلال تشريع هذا الحكم؛ أدعي للاستجابة؛ لأن المسلم وإن كان مأمورا بالامتثال للأحكام الشرعية على كل حال سواء أدرك الحِكْمة المقصودة من تشريع الحكم أم لم يدركها، إلا أن الإنسان يكون أنشط للتطبيق حين يمتثل لمراد الشرع عن فهم لمقصود الشارع من تشريع الحكم، فمثلا لما تعرض الحافظ ابن كثير لتفسير آيات القصاص قال- مبيِّنا وجه الحكمة-:" وَفِي شَرْعِ الْقِصَاصِ لَكُمْ، وَهُوَ قتل القاتل حكمة عظيمة وَهِيَ بَقَاءُ الْمُهَجِ وَصَوْنُهَا؛ لِأَنَّهُ إِذَا عَلِمَ الْقَاتِلُ أَنَّهُ يُقْتَلُ انْكَفَّ عَنْ صَنِيعِهِ، فَكَانَ فِي ذلكَ حياة للنُّفوسِ"([1]).

كما أن وقوف المفسر على الحكمة التشريعية يفيده في رد الشبهات التي تُثَار ضد أحكام الشريعة الإسلامية، وإسكات الأصوات الصادرة من أصحاب الأغراض الذين تتعالى أصواتهم بالاعتراض على الأحكام الشرعية إذا تعارضت مع مصالحهم الشخصية، خاصة ونحن في زمان سادت فيه ثقافة لا تقبل إلا بما يقتنع به العقل.

ثامنًا: الرد على الشبهات التي أثارها أعداء الإسلام:

إن من أعظم الواجبات الشرعية على علماء الأمة عموما وعلى المعنيين بالتفسير والباحثين في الدراسات القرآنية خصوصا أن يدفعوا عن كتاب الله تعالى، وأن يردوا عن كل ما يثار من أعدائه من شبهات وأباطيل روجها المستشرقون-وغيرهم- يريدون بها تشكيك المسلمين في دينهم وكتابهم، وصرف الآخَرين عن اتباعه والدخول فيه، حيث أثاروا الشبهات حول نزوله ومصدره، وتاريخه ومنهجه، كما أثاروها حول ما

---

(١)ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم (١/٣٦٠) تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط. دار الكتب العلمية- بيروت، ط: الأولى - ١٤١٩ هـ.

تضمنه من معان ومقاصد، يقف خلف هذه الافتراءات فئة من الأعداء جندوا فكرهم وعصارة ذكائهم في النيل من كتاب الله تعالى وتشويه ما جاء فيه من الحق والهدى، يريدون بذلك أن يحطموا ما يستند إليه المسلمون في دينهم واعتقادهم وشرائعهم، ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾[الصف:٩].

وقد عُني كثير من المفسرين في تفاسيرهم بهذا الأمر، ومن العلماء المعاصرين الذين أبلوا بلاء حسنا فيه، العلامة محمد رشيد رضا، والشيخ محمود شلتوت، والشيخ المراغي، والشيخ محمد أبي زهرة، والشيخ سعيد حوى، وكما فعل الشيخ محمد علي الصابوني في روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، وغيرهم من المفسرين ممن قاموا بالرد على شبهات أعداء الإسلام حول القرآن.

وعلى هذا فإنه من الواجب أن تبرز شبهات المستشرقين – وغيرهم– حول القرآن الكريم وأن تُعدلها الردود من المتخصصين، سيما ممن يَمَّمَ وجهه إلى تجديد التفسير، تنقية وتصفية لكتاب الله تعالى عمّا قد يشوبه من الضلال، وحماية لأبناء الأمة المسلمة من أن ينحرفوا عقيدة وفكراً ومنهجاً وسلوكاً بسبب تلكم الشبهات والضلالات.

تاسعا: تجنب الاستطراد إلى ما لا صلة له بالتفسير:

كذلك ينبغي على المفسر أن يلتزمَ بتفسيرِ النصِّ القرآنيِّ ، دون الاستطراد إلى ما لا صلة له بالتفسير، حتى لا يبتعد عن مقاصد القرآن وأهدافه ومعانيه؛ كما فعل بعض المفسرين الذين جنحوا إلى موضوعات وقضايا لا صلة لها بالتفسير، يقول الإمام السيوطي: «ثم صنَّف بعد ذلك قوم برعوا في علوم فكان كلّ منهم يقتصر في تفسيره على الفنّ الذي يغلب عليه؛ فالنحْوي تراه ليس له همٌّ إلّا الإعراب وتكثير الأوجه المحتملة فيه ونقل قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلافياته... والإخباري ليس له شغل

إلا القصص واستيفاءها والإخبار عمن سلف سواء كانت صحيحة أو باطلة.. والفقيه يكاد يسرد فيه الفقه من باب الطهارة إلى أمهات الأولاد، وربما استطرد إلى إقامة أدلة الفروع الفقهية التي لا تعلّق لها بالآية والجواب عن أدلة المخالفين.. وصاحب العلوم العقلية قد ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة وشُبَههها، وخرج من شيء إلى شيء حتى يقضي الناظرُ العجبَ من عدم مطابقة المورد للآية"(١).

إن تفسير القرآن الكريم في ضوء العلوم والمعارف الإنسانية شيءٌ لا غبار عليه، وكذا التبحر في لغة القرآنِ الكريم، والإبحار مع وجوه قراءاته، والأنس بجمالِ وبلاغة عباراته أمر مستحب؛ فالقرآن معين لا ينضب، ولا يخلق على كثرة الردِّ ولا يشبع منه البلغاء ولا تنقضي عجائبه، ولكنَّ الأمة في حاجة مُلِحَّة إلى تفسيرٍ عمليٍّ واقعيٍّ ينهض بها ويعالج مشكلاتِها، علما بأن هذا المفسِّر لن يستغْنِي أبدا عن الرجوع إلى اللغة والبلاغة والقراءات وغيرهَا من العلوم ليأخذ منها بقدرِ ما يُبَيِّنُ معنى أو يستنبط فائدة أو يدفع إشكالا، مع مراعاة مقتضيات العصرِ وحاجاتِ الأمة(٢).

عاشرًا: التيسير في عرض التفسير:

لقد تضمنت آيات القرآن الكريم العديد من التنبيهات على ضرورة الالتفات إلى طبيعة المخاطب لتحديد لغة الخطاب المناسبة له، نجد هذا في قوله تعالى: ﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ** ﴾ [إبراهيم:٤]، حيث يبين الله تعالى

(١) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن (٢٤٣/٤) تحقيق: أحمد أبو الفضل إبراهيم، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

(٢) حسن كاظم أسد، تفسير القرآن الكريم إشكالية المنهج، كلية التربية / مجلة جامعة ميسان، المجلد الحادي عشر، العدد الحادي والعشرون، السنة ٢٠١٥م،(ص٧٨).

في هذه الآية سنته المطردة في بعث الرسل بلغة أقوامهم، وبيّن سبب هذا: بأنه أدعى إلى وضوح الدعوة وتبيّن معاني الرسالة والوقوف على حقيقيتها ومعرفة مضامينها وأحكامها.

ومن ثم فلا بد من مراعاةِ لغةِ العصرِ الذي يعيشُهُ المفسرُ "فيعبر بأسلوب عصرِهِ، فلا يأتي بغريب الألفاظِ ولا يتكلَّفُ العبارات ولا يُمعن في عَوِيصِ المعاني. لكن هذا لا يعني أن يهبط المفسر بأسلوبه إلى مستوى العامية، وهي اللهجات الدارجة في هذا العصر؛ وبذلك يعرض عن بلاغة القرآن وجمالِ العربية.. ولكن أعني أن يتخذ مسلكا واضحا ومنهجا ثابتا، فلا يتكلف في تنميق العبارات؛ لا يعلو حديثهُ عن دَرَكِ العامَّة ولا يهبط إلى وَضِيعِ القولِ عند العلماءِ، فليحاول جهده في التعبير بحيث إذا سمعه غير المتخصصِ أدرك أبعاده وشدَّه أسلوبُه، وإذا سمِعَه العالم شدَّه حسن التعبير وطلاوة الأسلوب([1]).

❁ ❁ ❁

(١) فهد الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري(٣/١١٧٠)ط. مؤسسة الرسالة، بيروت.

المبحث الرابع: مظاهر التجديد عند المفسرين

التجديد سمة من سمات التفسير، ومقصد مهم من مقاصد المفسرين، فقد مرَّ التفسير بمراحل عديدة تجددت خلالها طُرق عرضه وأساليبه واتجاهاته، وهذا ما ستوضحه المطالب التالية:

المطلب الأول: مظاهر تجديد التفسير في عهد الصحابةﷺ :

أولًا: اعتمد التفسير في بدايته على الروايةِ، فكان الصحابةُ ﷺ يسمعون التفسير من الرسول ﷺ فيتناقلونه ويروونه، وعنهم أخذ التابعون، فكانت البداية عن طريق الرواية،كما هو مقرر معلوم.

لكن العجيب أن كثيرا من الباحثين وقف عند هذه المرحلة، قاصرا جهود الصحابة في التفسير على الرواية والتبليغ فقط، وكأن الصحابة ﷺ لم يكن عندهم أدنى فكرة عن تجديد تفسير القرآن الذي اتفقنا في أول هذا البحث على أنه: تجديد الفهم لكتاب الله تعالى على ضوء واقع المسلمين وفق قواعد التفسير؛ فهو عملية استلهام آيات القرآن الكريم التوجيه والهداية في كل ما يعترض الحياة مما يمس العقيدة أو الأخلاق .. بما يكشف عن وفاء القرآن الكريم بحاجة البشرية وفاء لا يعوزها إلى غيره من طرائق الهدايات. ومن ثم فإن الناظر في تراث الصحابة التفسيري يجده حافلا بالتجديد الذي وضَّح للناس هداية القرآن بإحياء ما اندرس من العمل بكتاب الله، وقمع البدع والمحدثات، وتنقية الإسلام مما علق به، والعودة به إلى ما كان عليه زمن رسول الله.

لقد كان تفسيرُ الصحابة شاملاً لكل ما يتعلَّقُ ببيانِ القرآنِ، فلم يقتصروا فيه على نوعٍ واحدٍ من البيانِ، بل اشتملَ بيانُهم للقرآنِ على جملةِ مصادرِ التَّفسيرِ، وهو ما سيظهر فيما يلي من خلال هذا المطلب.

ثانيًا: التفسير بالاجتهاد والاستنباط:

إن التدبر أصل لاستنباط العلوم والمعاني التي لا تظهر لكثير من الناس، وقد اهتم الصحابةﷺ بتدبر كتاب ربهم اهتماما عظيما، جعلهم يتأولون القرآن-أحيانا- على خلاف ظاهره، لإشارات خفية تظهر لبعض أهل العلم منهم، ممن نور الله

بصائرهم فأدركوا أسرار القرآن العظيم، ومن ذلك ما جاء« عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضى الله عنهما قَالَ كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِمَ تُدْخِلُ هَذَا الْفَتَى مَعَنَا، وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ فَقَالَ إِنَّهُ مِمَّنْ قَدْ عَلِمْتُمْ . قَالَ فَدَعَاهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ ، وَدَعَانِي مَعَهُمْ قَالَ وَمَا رُئِيتُهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلاَّ لِيُرِيَهُمْ مِنِّى فَقَالَ مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالى: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ ﴾[النصر:١]. فَقَالَ بَعْضُهُمْ أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ ، إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا. فَقَالَ لِي أَكَذَاكَ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟ فقُلْتُ: لاَ، قَالَ فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِﷺ أَعْلَمَهُ لَهُ، قَالَ: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ ﴾، وَذَلِكَ عَلاَمَةُ أَجَلِكَ ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣ ﴾ [النصر:٢]، فَقَالَ عُمَرُ مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلاَّ مَا تَقُولُ»([1]).

وهذا المنزع الذي ذكره ابن عباس وأقره عمرﷺ عليه نمط جديد في التفسير كما ترى، "ومأخذ في غاية الدقة، وبيان لقول عليﷺ: أو فهم أعطاه الله من شاء في كتاب الله"([2]).

ثالثًا: عنايتهم بالعربية في بيان القرآن:

لم يقف الصحابةﷺ في تفسيرهم لكتاب الله تعالى عند حدود المنقول، بل بينوا ما احتاجه الناس من بيان للقرآن الكريم برجوعهم إلى اللغة العربية التي نزل بها كتاب

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، سورة النصر (٩٠١/٤)(٤٦٨٦) ط. دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت
ط. الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧.

(٢)الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان (١٤٢/٩) ط. دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت — لبنان.

الله تعالى، "ولقد كان في عملِ مُفَسِّري الصَّحابةِ بالأخذِ بلغةِ العربِ في التَّفسيرِ إجماعٌ فِعْلِيٌّ منهم([1]). ولو استعرضنا الآيات التي فسرها الصحابة باللغة العربية لطال بنا المقام، ومن الأمثلة على عنايتهم بالعربية في بيان القرآن ما أخرجه الإمام الطبري أن «عمر بن الخطاب ﷺ قرأ قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ [الأنعام:١٢٥]بنصب راء ﴿حَرَجًا﴾، وقرأ بعض من عنده من أصحاب رسول الله ﷺ (ضَيِّقاً حَرِجاً)، فقال عمر: «ابغوني رجلاً من كنانة، واجعلوه راعياً، وليكن مدلجياً، فأتوا به، فقال له عمرﷺ: يا فتى ما الحرجة؟ ، قال: الحرجة فينا الشجرة تكون بين الأشجار التي لا تصل إليها راعية، ولا وحشية، ولا شيء، فقال عمر: كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير». قال الشيخ محمود شاكر: "وهذا خبرٌ عزيزٌ جداً في بيانِ روايةِ اللُّغةِ وشرحِها، وسؤالِ الأعرابِ والرُّعاةِ عنها"([2]).

رابعًا: الاحتجاج بالشعر على غريب القرآن:

من الأساليب التي تواترت عن الصحابة ﷺ في تفسيرهم لكتاب الله تعالى إكثارهم من الاحتجاج بالشعر على غريب القرآن ومشكله، ونصَّ على هذا المنهجِ ابن عباسﷺ، فقال: «إذا خفي عليكم شيءٌ من القرآن فابتغوه في الشعر، فإنه ديوان

---

(١) حكى صاحب كتاب "المباني في نظم المعاني" إجماع الصحابة على تفسير القرآن على شرائط اللغة. ينظر: مقدمتان في علوم القرآن، تحقيق: آرثر جفري (ص٢٠) ط. مكتبة الخانجي ١٣٩٣هـ.

(٢) تفسير الطبري (١٠٤/١٢) تحقيق: شاكر، ط. مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٥٦) إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ. ط. دار الفكر - بيروت ،١٩٩٣.

العرب»([1])، واستدلاله بالشعر في جوابه على أسئلة نافع بن الأزرق مشهور يدل على ذلك. وسؤال عمرﷺ الناس على المنبر عن معنى التَّخَوُّف الوارد في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ ورجوعه إلى لغة هذيل بعد ما أنشده أحدهم شعرا([2])، يدل على تجديدهم لطرق تأويل كتاب الله تعالى، بأسلوب يتفق وقواعد التفسير.

خامسًا: مراعاة السياق:

من المعلوم أن السياق له أهمية كبيرة في تفسير القرآن الكريم؛ فهو من أعظم الطرق الموصلة للفهم الصحيح للآية، والناظر في تفسير الصحابةﷺ يجد اهتماما بالغا به عندهم، ومن شواهد ذلك: أن " نافع بن الأزرق قال لابن عباسﷺ: «.. تزعم أن قوماً يخرجون من النار، وقد قال الله جل وعز: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة:٣٧] ، فقال ابن عباس: ويحك اقرأ ما فوقها! هذه للكفار»([3])"، فالخوارج يحكمون بالخلود في النار لكل من دخلها حتى لو كان مسلماً، فجعلوا المسلم

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك(٢/٥٤٢)(٣٨٤٥) وصححه. وأرده السيوطي في الدر المنثور(٨/٥٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢)ذكر القرطبي في تفسيره (١٠/١١٠) عن سعيد بن المسيب: "بينما عمر بن الخطاب ﷺ على المنبر قال: يا أيها الناس، ما تقولون في قول الله عز وجل﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ ﴾ فسكت الناس، فقال شيخ من بني هذيل: هي لغتنا يا أمير المؤمنين، التخوف التنقص. فخرج رجل فقال: يا فلان، ما فعل دينك؟ قال: تخوفته، أي تنقصته، فرجع فأخبر عمر فقال عمر: أتعرف العرب ذلك في أشعارهم؟ قال نعم، قال شاعرنا أبو كبير الهذلي- يصف ناقة تنقص السير سنامها بعد تَمْكِهِ وَاكْتِنَازِهِ-: تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكًا قَرِدًا ... كَمَا تَخَوَّفَ عود النبعة السفن". تحقيق: أحمد البردوني، ط: دار الكتب المصرية -القاهرة.

(٣) تفسير الطبري (١٠/٢٩٤)(١١٩٠٦).

كالكافر الأصلي، وحملوا النصوص الواردة في تخليد الكفار عليه بالآية، فأبطل ابن عباسﷺ استدلالهم بكون سياق الآيات يدل على خلافه، فالآيات تتحدث عن الكفار، فإن الله تعالى قال في الآية التي قبلها: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ ثم قال: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ ﴾.

سادسًا: التوسع في معنى الآية:

من صور تجديد الصحابة للتفسير: بيان أن معنى الآية قد ينطبق على غير منصوص على صاحبها؛ لوجه شبه بينهما، ومن الأمثلة على ذلك أن " فروة بن نوفل الأشجعي قال: «قال ابن مسعود: إن معاذاً كان أُمَّة قانتاً لله حنيفاً، فقلت في نفسي: غلط أبو عبد الرحمن، إنما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ ﴾ [النحل:١٢٠]، فأعادها عليَّ، فقال: إن معاذ بن جبل كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين، فعرفت أنه تعمد الأمر تعمداً، فسكتُّ، فقال: أتدري ما الأمة وما القانت؟ ، فقلت: الله أعلم، فقال: الأمة الذي يعلم الناس الخير، والقانت المطيع لله ولرسوله، وكذلك كان معاذ، كان يعلم الناس الخير، وكان مطيعاً لله ولرسوله»(١). ومما يؤكد ذلك أن ابن مسعودﷺ جاء عنه في رواية أخرى أنه قال عن معاذ بن جبلﷺ: "إنما كنا نشبهه بإبراهيم"(٢).

---

(١)تفسير الطبري (٣١٧/١٧)، والمعجم الكبير للطبراني، باب العين (١٠/ ٦٠) تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي، ط. مكتبة العلوم والحكم – الموصل، ط. الثانية ، ١٤٠٤ – ١٩٨٣

(٢)تفسير الطبري (٣١٧/١٧).

سابعًا: نقد الإسرائيليات المخالفة للقرآن:

وقف الصحابةﷺ موقفا عظيما في وجه كل دخيل يخل بفهم آيات القرآن الكريم، فاهتموا بتنقية التفسير مما علق به من الإسرائيليات والخرافات، إصلاحا وتجديدا وعودة بالفهم الصحيح إلى ما كان عليه زمن رسول اللهﷺ ، والشواهد على ذلك أكثر من أن تنحصر، ومن ذلك أن "رجلا جاء إلى عبد الله بن مسعود ﷺ فقال له: «من أين جئت؟ ، قال: من الشام قال: من لقيتَ؟ ، قال: لقيتُ كعباً، فقال: ما حدثك كعب؟ ، قال: حدثني أن السموات تدور على منكب ملك، قال: فصدقته أو كذبته؟ ، قال: ما صدقته ولا كذبته، قال: لوددت أنك افتديت من رحلتك إليه براحلتك ورحلها، وكذب كعب! إن الله يقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓ ﴾[فاطر: ٤١]»"(١).

فلا شك أن تنقية التفسير من الإسرائيليات من التجديد المنشود الذي تبناه الصحابةﷺ؛ حيث عارضوا الأخبار الإسرائيلية بالقرآن كما ترى، فيعترضون على من يسأل أهل الكتاب أو ينقل عنهم شيئا جاء كتاب الله تعالى بخلافه.

---

(١) المصدر السابق (٢٠/٤٨١-٤٨٢). وابن كثير في تفسيره(٦/٤٩٥)ثم قال:" وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ إِلَى كَعْبٍ وَإِلَى ابْنِ مسعود رضي الله عنه".

المطلب الثاني: مظاهر تجديد التفسير في عهد التابعين وأتباع التابعين:

الملاحظ من خلال تتبع الحركة العلمية لعهد التابعين وأتباعهم يرى أنَّ الاجتهاد والتجديد في التَّفسيرِ كان موجودا في هاتين الطبقتين، وإليك بيان ذلك:

أولا: التابعون: لحق بالصحابةﷺ أعلام التابعين ممن تتلمذ عليهم، وبرز في علم التفسير؛ كسعيد بن جبير (ت:٩٤)، ومجاهد بن جبر (ت:١٠٤)، والحسن البصري (ت:١١٠)، وقتادة بن دعامة السدوسي (ت:١١٧)، وغيرهم.

ومن مظاهر تجديدهم لتفسير القرآن: أنه برزت كتابة التفسير وتدوينه في عهدهم، فكان لهم في ذلك صحائف وكتب، مع ما كان لبعضهم من روايات شفوية، وممن كتب التفسير، أو أملاه على تلاميذه: سعيد بن جبير الذي كتب جملة من التفسير لعبد الملك بن مروان. ومجاهد بن جبر الذي كتب تفسير شيخه عبد الله بن عباسﷺ، وأملاه مجاهد على تلميذه القاسم بن أبي بزة (ت:١١٥) فكتبه. وأملى الحسن البصري التفسير على تلاميذه. وكتب علي بن أبي طلحة الوالبي (ت:١٤٣) صحيفته المشهورة التي فيها تفسير عبد الله بن عباسﷺ.([1]).

وبغض النظر عما في هذا التفسير من روايات أو آراء، إلا أنها تمثل حلقة جديدة في التفسير لم يكن لها سابق قبل ذلك، وهذا نوع من التجديد.

---

(١) الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم (٣٣٢/٦) ط. مجلس دائرة المعارف العثمانية – بحيدر آباد الدكن – الهند دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى، ١٢٧١ هـ ١٩٥٢م. وتفسير الطبري (٩٠/١)، وجامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، ط: دار الفكر (٨٩/١). والناسخ والمنسوخ، للنحاس، (ص٧٥) تحقيق د. محمد عبد السلام محمد، ط. مكتبة الفلاح – الكويت، ط. الأولى، ١٤٠٨هـ.

ثانيًا: أتباع التابعين: حمل التفسير وبرز في جيل أتباع التابعين بعض أعلام المفسرين؛ كعبد الملك ابن جريج المكي (ت:١٥٠) الذي ألف كتابا في التفسير(١) ، ومقاتل بن سليمان (ت:١٥٠) الذي ألف كتابا في التفسير ، وآخر في الوجوه والنظائر، ، وكذا يحيى بن سلام البصري (ت:٢٠٠) ألف كتابا في التفسير ، وآخر في الوجوه والنظائر، وغيرهم كثير(٢).

ومن مظاهر تجديدهم أيضا للتفسير: أن هذا الجيل المبارك خدم كتاب الله تعالى وجدد في علوم الكتاب العزيز، فقد ظهر منهم اللغويون الذين شاركوا في التفسير من خلال الكتابة في علمي: معاني القرآن وغريب القرآن؛ كأبان بن تغلب الجريري (ت:١٤١)، وعلي بن حمزة الكسائي (ت:١٨٣)، ويحيى بن زياد الفراء (ت:٢٠٧)، وأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت:٢١٠)، وغيرهم.

ويؤخذ من هذا أن الاهتمام بالتجديد في التفسير كان متقدما جدا، ولم يكن طابع الرواية فقط هو الموجود في عهد التابعين وأتباع التابعين.

---

(١) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ دمشق(١٠٩/٦٠) تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، ط. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

(٢) لتفسير مقاتل عدة مخطوطات، ينظر: الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، علوم القرآن، مخطوطات التفسير وعلومه (١٩/١)، وقد طبع بتحقيق د. عبد الله شحاته. وأما كتاب الوجوه والنظائر: فطبع بتحقيق د. عبد الله شحاته باسم: الأشباه والنظائر. ولتفسير يحيى بن سلام نسخ خطية، ينظر: الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، علوم القرآن، مخطوطات التفسير وعلومه (٢١/١). وكتابه طبع بتحقيق د. هند شلبي، وعنوانه: التصاريف، تفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه.

المطلب الثالث: تجديد التفسير في عصور التدوين(١):

في القرن الثالث الهجري وما بعده نشطت حركة التأليف في التفسير وصار الاهتمام بتدوينه ملحوظا، لكن جاء ذلك على مراحل متعددة وبطرائق مختلفة.

المرحلة الأولى: لما بدأ تدوين السنة النبوية دُوِّنَ التفسيرُ باعتباره من أبواب السنة، فكان العلماء يجمعون المرويات، والأقوال في التفسير إلى جانب المرويات في سائر أبواب السنة، كأبواب التفسير الموجودة في كتب الصحاح والسنن والمصنفات، فلم يُفرد له تأليف خاص يُفسِّر القرآن سورة سورة، وآية آية، من مبدئه إلى منتهاه.

المرحلة الثانية: طريقة التأليف في التفسير فيها على سبيل الاستقلال: انتقل التفسير إلى مرحلة جديدة، حيث أُفْرِدَ بالتأليف وصار عِلما مستقلا له مؤلفاته، كتفسير آدم بن أبي إياس (ت٢٢٠) ، وتفسير عبد الرزاق(ت٢٢١) ، وعبد بن حميد (ت٢٤٩)، ، وابن ماجه (ت٢٧٣) وابن جرير الطبري (ت٣١٠)،ثم ابن أبي حاتم (ت٣٢٧)، وكلها مسندة إلى الصحابة والتابعين وأتباعهم، يزيد عليها ابن جرير، فإنه يتعرض لذكر لأقوال وتوجيهها، وترجيح بعضها على بعض، مع الاهتمام بالإعراب والقراءات والاستنباط.

المرحلة الثالثة: مرحلة اختصار الأسانيد أو حذفها، حيث ألف في التفسير خلائق اختصروا الأسانيد ونقلوا الأقوال بترا، والظاهر أنهم فعلوا ذلك- والله أعلم- طلبا للاختصار، حيث إن أغلب هذه التفاسير من المطولات، ومع الأسانيد يزداد

---

(١) بتصرف من الاتقان (٤/٢٤٢-٢٤٣)، والتفسير والمفسرون، لمحمد حسين الذهبي (١/١٠٤-١١٠) ط. مكتبة وهبة، القاهرة. والإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، لأبي شهبة، محمد بن سويلم (ص٦٣)، ط. مكتبة السنة، ط. الرابعة.

طولها بلا شك؛ فيقل الإقبال عليها، ناهيك عن ضعف همم الناس وانصرافهم عن الحفظ.

المرحلة الرابعة: بعد أن كان التفسير قاصرا على الرواية فقط ، انتقل التفسير إلى مرحلة أخرى غلب فيها جانب الرأي والتفسير الاجتهادي لعلماء برعوا في بعض العلوم، وبرزوا فيها، فصار كل واحد منهم يميل بالتفسير إلى إبراز ما برع فيه؛ فتنوعت اهتماماتهم وتشعَّبت اتجاهاتهم، فالفقيه المفسر يُعنى بالمسائل الفقهية ويركِّزُ على استنباط الأحكام الشرعية، ويستطرد في ذكر الأدلة والرد على المخالفين.. والنحوي عندما يفسر يهتم بذكر الأوجه المحتملة للإعراب، ناقلا القواعد التي تؤكد ما ذهب إليه.. وصاحب العلوم العقلية المهتم بالتفسير تراه لا ينفك عن نقل أقوال الحكماء والفلاسفة ومناظراتهم وحججهم.. والمفسرون في ذلك على مناح متعددة، فمنهم من أوجز ومنهم من بسط وتوسع ومنهم من توسط، ومنهم من اختصر كتابا، ومنهم من وضع حاشية على تفسير.

وفي وسط هذه الثورة الهائلة من الكتابات التفسيرية وُجِد مِنَ العلماء مَن ضيَّق دائرة البحث في التفسير، فتكلَّم عن ناحية واحدة من نواحيه المتشعبة المتعددة، فأبو عبيدة(ت٢١٠) أفرد كتاباً للكلام عن مجاز القرآن، وأبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨.) صنف كتاباً في الناسخ والمنسوخ من القرآن، والجصاص(ت٣٧٠) ألف كتاباً في أحكام القرآن، وأبو الحسن الواحدي (ت٤٦٨) أفرد كتاباً في أسباب نزول القرآن، والراغب الأصفهاني(ت ٥٠٢.) أفرد كتاباً في مفردات القرآن، وابن القيم(ت٧٥١) أفرد كتاباً من مؤلفاته للكلام عن أقسام القرآن سماه "التبيان في أقسام القرآن".. وغير هؤلاء كثير من المفسرين المجددين الذين قصدوا إلى موضوع خاص في القرآن يجمعون ما تفرَّق منه، ويفردونه بالدرس والبحث.

ومن هنا يظهر لنا أن كل هؤلاء المفسرين أصحاب إضافات نوعية في التفسير، وقد دلَّ على ذلك تنوع المناهج وتحدد الطرائق التي سلكها المفسرون، وإذا كان التفسير قد خطا هذه الخطوات السابقة، فليس معنى ذلك أن كل خطوة محت ما قبلها وألغت العمل به، بل معناه أن التفسير تدرج في خطواته، فبعد أن كانت الخطوة الأولى للتفسير هي النقل عن طريق التلقي والرواية، كانت الخطوة الثانية له، وهى تدوينه على أنه باب من أبواب الحديث، ثم جاءت بعد ذلك الخطوة الثالثة، وهى تدوينه على استقلال وانفراد.. إلخ، فكل هذه الخطوات، تم إسلام بعضها إلى بعض والانتفاع بها والبناء عليها، وهذا يدل على أن التجديد سمةٌ من سمات مناهج التفسير، وهو في الطرائق والأساليب لا في المقاصد والمضمون.

المطلب الرابع: من مظاهر تجديد المعاصرين في التفسير:

ظهر في العصر الحديث تفاسير عُنيت بمواكبة روح العصر وتطوره والتركيز على مقاصد القرآن الكريم وهداياته، ومن بواكير هذه التفاسير: تفسير القرآن الحكيم المسمى بتفسير المنار للسيد رشيد رضا -رحمه الله-، وتبعه تفاسير أخرى، كتفسير المراغي ومحاسن التأويل للقاسمي وغيره.. تلا ذلك تفاسير عُنيت بالواقع المعاصر وقضايا الأمة ومشكلاتها وسبل علاجها في ضوء هداية القرآن، كما فعل سعيد حوى في الأساس، وإبراهيم الدوسري في تفسيره، وعبد الرحمن حبنكة في تفسيره، وغيرهم من المحدثين والمعاصرين.

إلى جانب ذلك ظهرت الدراسات الموضوعية في القرآن الكريم، والتي لقيت عناية فائقة، ورواجا واسعا بين المشتغلين والمهتمين بالدراسات والبحوث القرآنية، الذي ينبني على دراسة موضوعات قرآنية معينة، يعرض لها القرآن في عدة مناسبات وقي مواضع متفرقة من سوره وآياته، أو دراسة موضوع واحد داخل سورة قرآنية واحدة، فيعمد المفسر إلى ذكر الآيات المتعلقة بالموضوع ويشرحها ويفصل القول فيها من أجل الوقوف على توجيهات القرآن ورؤاه في هذا الموضوع، وكذا في القضايا التي يعرضها القرآن الكريم، ولا يتأتى ذلك إلا بجمع الآيات المتفرقة ذات الموضوع المشترك في سورة القرآن الكريم، ومدارسة هذا الموضوع حسب المقاصد القرآنية. ومن الأعمال الموسوعية في هذا الفن: التفسير الموضوعي لسور القرآن، جامعة الشارقة، وموسوعة التفسير الموضوعي، مركز تفسير بالرياض.

وبهذا يكشف التفسير الموضوعي أن القرآن الكريم حاز الريادة، ونال السبق في عرض قضايا العصر، وقد جاء استجابة لمجموعة من التطورات والتحولات التي استحدثت في الحياة المعاصرة، ذلك أن هذا المنهج يمنح المفسر القدرة الكافية على

استحضار وتمثل القضايا الفكرية والاجتماعية والسياسية التي يحملها القرآن الكريم، ومقارنتها بما هو مطروح اليوم من قضايا في النظم الوضعية.

كما لا يفوتني التأكيد على أن من تجليات العناية بالتفسير في هذا العصر: تلك المؤتمرات العلمية، والملتقيات الفكرية التي تنظم باستمرار في جامعة الأزهر الشريف، وفي كثير من أقطار العالم الإسلامي، والتي تشرف عليها مؤسسات علمية بحثية متخصصة في البحث العلمي المتعلق بالدراسات والبحوث حول القرآن الكريم وعلومه.

المبحث الخامس: التفسير وخطورة دعاوى التجديد في العصر الحديث

اتفقنا في ضوابط التجديد على أن التجديد المنشود في التفسير القرآني هو نوع من التغيير المنهجي المنضبط بقيم الكتاب والسنة، من غير إلغاء للأصل، وإنما هو عودة إلى التراث التفسيري، بعيداً عن إسقاطه أو تقديسه وإعادة تنزيله على الواقع. لكن هناك من يستغلُّ شعار التجديد ويرفع راياته لتسريب أفكاره الهدامة وتمرير أطروحاته الوافدة؛ ذلك أن مصطلح التجديد من أكثر المصطلحات إثارة وشيوعا في الفكر الإسلامي المعاصر، فلدينا دعوات للتجديد والمعاصرة في التعامل مع التفسير القرآني.. ما طبيعة هذه الدعوات؟ وما هو مفهومها للتجديد وهدفها من ورائه؟ وأين نحن من كل ذلك؟ هذا ما ستوضحه المطالب التالية:

المطلب الأول: مفهوم التجديد في عُرف دعاة التجديد:

مصطلح التجديد مصطلح براق جدلي في مفهومه ووسائله، انضوى تحت لوائه أطياف شتى راكنة إلى رؤى فكرية وعقدية متنوعة، وأن إشكاليته مردها إلى التصورات والقيم والمفاهيم التي تجعل تفسيره وإيضاحه لا ينفك عن الخلفية العقدية، والدينية، والفكرية. وتباين مفهوم التجديد الديني، نجده عند فئة يجمعها السير في الاتجاه العقلاني المعاصر، أو ما سُمِّي بالمدرسة العقلية الحديثة.

وقد تعددت عبارات الباحثين في تحديد مفهوم تجديد الدين عند هذه المدرسة، ويجمعها أنها: " وجهة نظر في الدين مبنية على الاعتقاد بأن التقدم العلمي والثقافة المعاصرة يستلزمان إعادة تأويل التعاليم الدينية التقليدية على ضوء المفاهيم الفلسفية والعلمية السائدة"(١). وتجديد التفسير عندهم يعني: "إعمال الفكر في فهم القرآن فهما جديدا دون الرجوع إلى شيء من أفهام السابقين من رجال المأثور، والمعقول، أو التقيد بقواعد لغة القرآن، أو بشيء من الضوابط التي وضعها علماء أصول الفقه وعلوم القرآن"(٢).

وقد طال تجديد تفسير كتاب الله تعالى هذا المفهوم حتى وجدنا من ينادي بالاستغناء عن جهود المفسرين السابقين، وفهم القرآن بما تمليه عليه أهواؤه وما يتناسب مع من تأثَّر بهم من أساطين الفكر الغربي الحديث، بل ويطعن في جهود

---

(١)الناصر، محمد حامد، المدرسة العصرانية بنزعتها المادية، (ص٣-٤) ط. مكتبة الكوثر، الرياض، ٢٠٠٤ م.

(٢)مناهج المفسرين بين الأثر والتجديد، د. عيادة الكبيسي(ص ١١١) مجلة كلية العلوم الإسلامية، ١٤٣١هـ.

العلماء ويبخسُ قدرهم، ويزعمُ أن الانسلاخ عن تراثهم هو ما تقتضيه الضرورةُ وتستدعيه الظروف الراهنة.

وإذا كان هذا هو مفهومهم للتجديد، فهل بهذا يكون التجديد دعوى للهدم أو للبناء؟ وهل يتمُّ البناءُ على غير أساسٍ؟ وهل نشيِّدُ حضارتنا ونبني حاضرنا على شفا جرف هارٍ؟ هل يعقلُ أن يتمَّ التجديد بدون النظر في القديم والإفادة منه؟ أم هل يعقلُ تفسير القرآن الكريم بعيدا عن طرق التفسير الثابتة ومصادره الأصيلة؟ ومناهجه المتنوعة؟

المطلب الثاني: أبعاد الدعوة للتجديد والمعاصرة في التفسير:

إذا استحضرنا ما كان في العصر الحديث من ثورة على الكنيسة، وتعاليمها حين ضادت العلم التجريبي، ووقفت موقف الرافض المكافح للاكتشافات، عرفنا أن التجديد بمعناه المنقلب على التعاليم الدينية، كان ردة فعل وموقف المجابهة لكهنوت الكنيسة وجمودها، وكذلك أن طائفة من المنادين بالتجديد ظلوا متأثرين بهذا المفهوم التجديدي الذي ينبذ القديم، ويخرج بمفاهيم جديدة تفرضها ضرورات العصر، وتهيج عليها تقانة الحضارة وضرورات الزمان المتجدد.

والمنادون بتطبيق هذا على الإسلام ظلموه ظلما بينا؛ إذ لا يوجد في الإسلام رجال دين ولا كهنوت، وليس كأي ملة أخرى، فهو دين رباني صالح لكل زمان ومكان، لا يقف أمام العلم والتقدم التكنولوجي، بل يدعمه ويشجعه ويدل عليه، وهل استفادت أوروبا في عصور الظلام إلا من المسلمين؟ وهل وقف الإسلام في يوم من الأيام أمام الاختراعات العلمية والإبداعات الحضارية إذا كانت منضبطة مع الشرع؟ تلك هي النظرة النابعة من قناعات فكرية غالبًا ما تكون من مخلَّفات الاستشراق مما يجعل صاحبها يتخبط تخبطًا واضحًا وينحرف انحرافًا شديدًا في فهم الإسلام.

وعلى صعيد آخر كانت نظرة بعض المستغربين- ممن نادوا بالتجديد- نتيجة إصابتهم بصدمة حضارية في بداية القرن الماضي من الانبهار بما وصل إليه الغرب من التقدم العلمي والصناعي والعسكري فصاغوا أفكارهم من خلال ذهنية منهزمة أمام ما أنتجته الثقافة الغربية.

لا يخفى أن الذي ينظر في النص القرآني - في حالة كهذه - سيكون مستلَبًا من قبل الغرب، ويكون هو المعيار في تحديد مفهومه للتجديد، وقد أحسن ابن خلدون في

توصيفه لهذه هي الحالة حينما قال : "إن المغلوب مُولَع أبدًا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزِيه ونحلته وسائر أحو اله وعوائده، والسبب في ذلك أن النفس أبدًا تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه"(١). ولعل في مقدمة هؤلاء الدكتور طه حسين- الذي يقول بكل صراحة: "إن سبيل النهضة واضحة مستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء، وهي أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادًا، ولنكون لهم شركاء في الحضارة: خيرِها وشرها، حلوِها ومرها، وما يُحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب"(٢).

ومن دعاة التجديد من يَصْدُرُ عن حقدٍ دفين وحرص شديد على هدم تعاليم الإسلام والطعن في أصوله ومصادره فيتسترون وراء شعار التجديد، ويجعلون منه وسيلة للوصول إلى أهدافهم الخبيثة، ويسعون إلى تطويعه لأفكار البشر، وجعله تابعا لنزعاتهم، متأثرا بأفكارهم، بحيث "يكون وجوديا مع الوجوديين(٣)، ماركسيا مع الماركسيين(٤)، ملائما لكل عصر في نزعاته وأفكاره، فكلما جدت فكرة أو نحلة طبع بطابعه"(٥).

---

(١)المقدمة (١/١٨٤) تحقيق: خليل شحادة، ط. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

(٢) مستقبل الثقافة في مصر، طه حسين(٢/٢٨) ط. الدار العربية للنشر والتوزيع- القاهرة.

(٣) الوجوديون: نسبة إلى الوجودية، وهي: اتجاه فلسفي يغلو في قيمة الإنسان ويبالغ في التأكيد على تفرده وأنه صاحب تفكير وحرية وإرادة واختيار ولا يحتاج إلى موجه. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مجموعة مؤلفين لدى الندوة العالمية للشباب الإسلامي، تخطيط وإشراف: د. مانع بن حماد الجهني (٢/٨١٨) ط. دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤٢٠ هـ.

(٤) الماركسية: تنسب إلى كارل ماركس؛ وهي مذهب فلسفي مادي إلحادي، يرى أن كل ما في الكون من كائنات وموجودات حية وغير حية ناشئ عن المادة، فالمادة هي أصل الأشياء، وعن تطورها وجدت كل الأشياء، فلا يوجد وراءها شيء آخر، كما أن المادة أزلية قديمة لم يوجدها أحد. محاضرات في تاريخ الماركسية، ريازانوف، ترجمة جورج طرابيشي، ط. دار الطليعة للطباعة والنشر . بيروت١٩٢٣م.

(٥) الطيِّر، مصطفى محمد الحديدي، اتجاهات التفسير في العصر الحديث(ص٢٥٧) ط. مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ١٣٩١هـ.

لكنَّ هناك من دعاةِ التجديد من يرفعون رايته وينادون به انبهارا بما لدى الغرب وحرصا على أن تنهض الشعوب الإسلامية من كبوتها وتصحو من رقادها، وأصحاب هذا التيار لم يسلموا من التأثُّر بالثقافات والنُّظُم الغربية، ولم تسلم كتاباتهم من نزعة انهزامية، كما أنهم رفعوا شعار العقلانية والعصرانية على تفاوت بينهم. يقول الأستاذ جمال سلطان- عن هذا الفريق: "ومنهم من يصدر عن حسن نية، محاولة منه في الاجتهاد، إلا أنه بقي مشدودا إلى تصوُّرات المناهج الغربية التي تلقَّاها خلال دراسته أو ابتعاثه إلى ديار الغرب، أو ما يزال متأثرا بأفكار المعتزلة، أو جمعت هذه كلها في عقليته فوقع في الاضطراب والخلل والتناقض"(١).

إذا كانت هذه منطلقات رجال التجديد، فإن ذلك وبلا شك سينتج لنا تفسيرًا للقرآن غريبًا عن مضمونه، بل لا يمت إلى القرآن بصلة!!

المطلب الثالث: سمات التجديد في التفسير عند أدعياء التجديد:

لقد تداعى دعاة التجديد من كل مكان، ورموا هذا الدين عن قوس واحدة، وطرقوا في سبيل ذلك كل باب، واتخذوا للوصول لغايتهم كل وسيلة، وكان جل همهم القرآن، فأتوه من باب التفسير وأصوله وأسفاره ورجاله، ورفعوا في سبيل ذلك شعار التجديد ناكبين عن صراط الحقِّ، تارة باسم التحرير، وتارة باسم التطوير، وأخرى باسم التمدن والتنوير، وغيرها من الشعارات التي يفتحون بها قلوب الناس لهم، وما هي إلا شعارات براقة يرددونها وكلمات رنانة يصيحون بها، وكان من أهم معالم التجديد عندهم:

---

(١)الناصر، محمد حامد، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب(ص١٧٧) مكتبة الكوثر، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

أولًا: نزع القداسة عن النص القرآني عن طريق الدعوة إلى النقد الحر، ولا أدل على هذا مما قاله محمد أركون:" نحن نريد القرآن المتوسل إليه من كل جهة والمقروء والمشروح من قبل الفاعلين الاجتماعيين(المسلمين) مهما يكن مستواهم الثقافي وكفاءتهم العقائدية، أن يصبح موضوعا للتساؤلات النقدية المتعلقة بمكانته اللغوية والتاريخية"(١).

ويقول د. طه حسين: "ليس القرآن إلا كتابا ككل الكتب الخاضعة للنقد، فيجب أن يجري عليه ما يجري عليها، والعلم يحتِّم عليكم أن تصرفوا النظر عن قداسته التي تتصورونها، وأن تعتبروه كتابا عاديا، فتقولوا فيه كلمتكم، على أن يختصَّ كلُّ واحدٍ منكم بنقد شيء من هذا الكتاب، ويبرز مآخذه عليه"(٢).

ثانيًا: تنحية القرآن وأحكامه عن حياة الناس، وإيقاف تأثيره الرباني عليهم، وإفساد ثمار اتباعه المباركة، وفي ذلك يقول د. نصر أبوزيد:" إن حل مشكلات الواقع إذا ظل معتمدا على مرجعية النصوص الإسلامية يؤدي إلى تعقيد المشاكل"(٣).

ثالثًا: الطعن في تفسير سلفنا الصالح والادعاء بأنه لا يصلح لهذا العصر، فلقد تشرَّب أصحابُ هذا الاتجاه شبهات المستشرقين المتعصبين ممن نالوا من تفسير القرون

---

(١) محمد أركون، الفكر العربي قراءة علمية(ص٢٤٦) ط. المركز الثقافي العربي للطبعة والنشر– الدار البيضاء، ط. الثانية ١٩٩٦م.

(٢)أسباب الخطأ في التفسير، لطاهر يعقوب (٧٩٨/٢) ط. دار ابن الجوزي، ط. الأولى ١٤٢٥هـ. وانظر ما قاله نصر أبوزيد في مفهوم النص دراسة في علوم القرآن (ص٢٤) ط. المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، الدار البيضاء، ط. الرابعة، ١٩٩٨م.

(٣) نصر أبوزيد، النص السلطة الحقيقية(ص٢٤٤) ط. المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، الدار البيضاء، ط. الأولى، ١٩٩٥م.

الخيرية بدون وجه حقٍّ. يقول د. محمد شحرور:" وعند مشايخنا فهم القرآن هو عن... عن، وقال عكرمة قال مجاهد وابن عباس وابن كثير والزمخشري، علما بأن أقوال هؤلاء ليس لها قيمة كبيرة بالنسبة لنا، ولكن كان لها قيمة تراثية أكاديمية بحتة"(١).

رابعًا: الاستهانة والسخرية من تراثنا القيم والدعوة إلى تبديد هذا الإرث الوافر، يقول زكي نجيب محمود: "وتسألني ماذا نحن صانعون بآدابنا ومعارفنا التقليدية فأجيبك بأنها مادة للتسلية في ساعات الفراغ! لم أعد أقول بأنها خليقة أن يقذف بها في النار"(٢).

خامسًا: إبطال مرجعية كتب التفسير التراثية وإضعاف الثقة بها، وقطع الصلة بين الأمة وتراثها لتضل طريقها؛ إذ ليس بعد قطع الصلة بين الأمة والعلماء إلا أن يتخذ الناس رؤوسا جهالا فيضلوا، وفي ذلك يقول د. شحرور:" ماذا قدم السادة العلماء للناس؟ قدموا لنا ماذا فهم السلف من القرآن على أنه تفسير للقرآن، والواقع أنهم بذلك لم يقدموا ما يؤكد أن القرآن صالح لكل زمان ومكان، بل قدموا تفاعل هؤلاء الناس مع القرآن.. قدموا لنا تراثا ميتا"(٣).

هذه أصول التجديد عند أدعياء التجديد !! وإني لا أجد أبلغ من كلمة الرافعي -رحمه الله- ردا عليهم حيث يقول: "أرأيتم الآن أيها الفضلاء جداً... أن الأمم في غنى عنكم، وأن حاجتها كلَّ الحاجة إنما هي إيمانها وقديمها، وأنكم لا تزالون منها ومن تاريخها وأسباب تاريخها إلا منزلة الثرثرة في المعنى الصريح من المعنى الصريح ...

---

(١) محمد شحرور، الكتاب والقرآن قراءة معاصرة (ص١٩٤) ط. شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط. الرابعة.

(٢)أسباب الخطأ في التفسير (٧٩٨/٢).

(٣) الكتاب والقرآن قراءة معاصرة (ص١٩٤).

أتظنون أن التجديد لا يقوم إلا بالهدم، وهل يبلغ ما أنتم فيه من الحماقة وضعف البصر بعواقب الأمور وأسرار الأشياء وأن تقولوا أن البناء الجديد لا يكون إلا بعد هدم القديم وإزاحة أنقاضه وإقرار الجديد في موضعه؟ أم هو بناء بالكلام على أرض من الورق فكل ما جاء ليبني بني وكلما جاء ليهدم هدم؟ أفلا تعلمون أن القديم لا يُهدم البتة؛ لأنه هو الذي يبدِع الجديد ويشقه، فإن هُدم في أمة من الأمم زال الجديد بزواله، ولم يبق من الأمة إلا بقايا لم تستمسك على حادثة ولا تقر على صدمة، وأن سنة الكون في الجديد بأنه ترميم في بعض نواحي القديم وتهذيب في بعضها، وزخرفة في بعضها الآخر، وإلا لوجب أن يتجدد التركيب الإنساني والتركيب العقلي، وهو ما لم يقع ولن يقع منه شيء. فالشأن في الجديد أن تتصل المادة الجديدة بالقديم فإذا هو هو، ولكن ببعض الزيادة، أو بعض الزينة أو بعض القوة ... المجدِّد أيها الفضلاء: جديدا لا تخرجه للأمة إلا أقوى عناصر القديم متى اجتمعت فيه صحيحة متظاهرة، يمدّ بعضها بعضا ..."([1]).

([1])مصطفى صادق الرافعي، تحت راية القرآن(ص٢١٠- ٢١١) ط. دار الكتاب العربي، بيروت، ط٨، ١٤٠٣هـ.

المطلب الرابع: التجديد المنشود تجديد المناهج والأساليب:

لا يُقبل بأي شكل أن يكون التجديد في ثوابت الدين- كما رأينا من أدعياء التجديد-؛ إذ الدين باعتباره وحيًا إلهيًا لا يجوز فيه الزيادة ولا التغيير أو التبديل أو التعطيل، وما أشبه ذلك مما من شأنه أن يحرف الكلم عن مواضعه. ولا يمكن أن يكون-أيضا- بالانسلاخ من القديم والتخلي عنه؛ لأن جهود السابقين في التفسير هي ركائزنا الأساسية لفهم كتاب الله تعالى، والتجديد الحقيقي هو الذي يعمل على أساس استيعاب القديم وتقويمه ودراسته وتحليله وإعادة قراءته، فيكون التجديد في الفكر والمنهج، وعكسه ليس تجديدا، وإنما هو هدم وتبديد.

ومن ثم فإن التجديد ليس إلغاء للأصل، وإنما هو عودة إلى الينابيع الأولى، وإعادة تنزيلها على الواقع، واستئصال نوابت السوء، ومحاصرة البدع والخرافات والأوهام، وعودة إلى تحريك وتشغيل آليات التغيير الاجتماعي، والتعامل مع السنن الجارية، ومعالجة حالات الاسترخاء والرخاوة التي ألفها الناس، وإعادة فحصها واختبارها وتصويبها

وجملة القول في تجديد التفسير: تنقيته مما علُق به من شوائب، وما خالطه من كدر عبر مسيرته الطويلة ومراحله العديدة، فلقد ولع بعض المفسرين بالإسرائيليات ونقلوها لتفاسيرهم، سواء ما كان مخالفا لشرعنا أو ما لم يرد ما يخالفه. والتجديد: معايشة المفسر لكتاب الله تعالى، ومتابعته لواقع الأمة، وتجريد القلم لتبليغ رسالة الله تعالى بأسلوبٍ واضح يسير، يخالط القلوب ويخاطب العقول ويسري إلى الوجدان، ويلامس الواقع. والتجديد في مناهج التفسير، توجيهها لمعالجة قضايانا وحلِّ أزماتنا، مع السعي الدائم للابتكار في العرض والكتابة. والتجديد: الاستفادة من الكسب العلمي والحقائق المعرفية؛ لبيان استمرار خلود القرآن وإعجازه وصلاحه لكل زمان ومكان.

❁❁❁

خاتمة البحث:

وفي ختام هذا البحث أحمد الله تعالى على إعانته وتيسيره، وأسأله سبحانه الأجر والقبول.. وقد وقفت على مجموعة من النتائج والتوصيات، والتي كان من أهمها:

أولًا: النتائج:

١-التجديد في التفسير مطلب ملح جدا؛ من أجل استئناف السير الحضاري، وتقويم ما ظهر من اعوجاج وتحريف في الفهم والسلوك.. لكن بضوابط محددة حتى لا يخرج عن أسس البناء إلى معاول الهدم.

٢-التأكيد على أن التجديد المنشود في التفسير، لا يقوم على أساس تجاوز النص القرآني، أو الضرب بجهود المفسرين السابقين عرض الحائط، وإنما هو الالتزام بالنص الأصلي، مع إعادة النظر في الجهد الإنساني المتعلق بتفسير هذا النص، بما يتلاءم وظروف العصر.

٣-يهدفُ التجديد إلى بيان الهدايات القرآنية في شتى مجالات الحياة، وتعايش المفسِّر مع هموم الأمة وتفاعله مع قضاياها، ومواجهة التحديات والعقبات التي تواجه البشرية بالهدايات الربانية.

٤-تنوع المناهج وتجدد الطرائق التي سلكها المفسرون يدلُّ على أن التطور والتجديد سمة من سمات التفسير، وذلك في الطرائق والأساليب لا في المقاصد والمضمون.

٥-ضرورة البحث في احتياجات العصر في القرآن الكريم من خلال نصوصه العامة وأهدافه التي قصدها؛ لإبراز جوانب الإعجاز القرآني المتعددة.

٦- قضية التجديد اختلطت فيها الدعوات والمفاهيم، ومصطلح التجديد ذو إثارة وتنازع سببه الاشتراك في المصطلح بين هذه الأمة، وأمم أخرى حمل التجديد

فيها دعوات لطي بساط الدين وتعاليمه، وحصره في العبادات، وترك الحياة بمختلف وجوهها لغير سلطانه، ومن جهة أخرى سرت تحت جناح هذا المصطلح دعوات هدَّامة جعلت التجديد تبديدًا وتغييرًا لمعالم الشريعة، ورسومها وأصولها، فَفَصَلت بين حاضر الأمة وموروثها النقي الأصيل.

٧-ضرورة التيسير على القارئ، واستخلاصِ الفوائد له من أمهات كتب التفسير؛ لضعف همم كثير من الناس في هذا الزمان، أَمَّا التحقيق نفسهُ فيمكن للمتخصِّصِين أن يرجعوا إليه في مظانه.

ثانيًا: التوصيات:

١-لابد من تكثيف جهود المفسرين والمعنين بالدراسات القرآنية في بيان الموقف من دعوات التجديد المخالفة للقرآن، وإقامة الندوات، واللقاءات المتتالية من أجل بيان زيف هذه الدعوات.

٢-على من يهمه الأمر من قادة المسلمين أن يتحمل مسئولياته أمام الأفكار السامة التي يُروج لها أدعياء التجديد، والتي تخرج من غير ضوابط ولا أصول، وسن القوانين الرادعة لهم.

٣-تقديم الحوار بين المؤهلين من الدعاة والعلماء لأصحاب الأفكار التجديدية الهدامة، وثنيهم عن أقوالهم بالحجة والبرهان.

٤-العمل على إنشاء وسائل مرئية ومسموعة ومراكز ومواقع على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) تعني بدراسة وعرض الرؤية الإسلامية الصحيحة من القضايا المستجدة، لتسد الفراغ الفكري الذي يستغله أصحاب الفكر المنحرف.

٥-إبراز دور الأئمة والعلماء والمفسرين في الحِقب التاريخية الإسلامية السابقة بصورتها النقية للناس، وبيان كيف كان تجديدهم لعلومهم التي تخصصوا فيها وسيلة النهوض بين الأمم وليس العكس.

* * * *

مراجع البحث:

١- ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ط. مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن — الهند.

٢- ابن حزم، علي بن أحمد، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: أحمد شاكر، ط. دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٣- ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ط: دار الفكر.

٤- ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، ط. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

٥- أبو شهبة، محمد بن سويلم، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ط. مكتبة السنة، ط. الرابعة.

٦- الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، ط. مكتبة وهبة، القاهرة.

٧- الرافعي، مصطفى صادق ، تحت راية القرآن، ط. دار الكتاب العربي، بيروت، ط. الثامنة، ١٤٠٣هـ.

٨- الشوكة، أحمد عبد الكريم، أهمية التفسير الموضوعي ومنهجيته في معالجة القضايا المستجدة، مجلة كلية الإمام الأعظم - كلية الآداب الجامعة العراقية، العدد الثامن عشر لسنة ١٤٣٥ هـ- ٢٠١٤ م.

٩- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٩٢/١) ط. المكتبة العلمية — بيروت.

١٠- المناوي، زين الدين، محمد عبد الرؤوف ، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط. المكتبة التجارية الكبرى — مصر.

١١- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، تخطيط وإشراف: د. مانع بن حماد الجهني المعاصرة، ط. دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤٢٠ هـ.

١٢- الناصر، محمد حامد، المدرسة العصرانية بنزعتها المادية، ط. مكتبة الكوثر، الرياض، ٢٠٠٤م.

١٣- النحاس، الناسخ والمنسوخ، تحقيق د. محمد عبد السلام محمد، ط. مكتبة الفلاح – الكويت، ط. الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٤- عيادة الكبيسي، مناهج المفسرين بين الأثر والتجديد، مجلة كلية العلوم الإسلامية، ١٤٣١هـ.

١٥- مجلة العلميون عدد يونيو سنة ١٩٩٧م.

١٦- محمد أركون، الفكر العربي قراءة علمية، ط. المركز الثقافي العربي للطبعة والنشر- الدار البيضاء، ط. الثانية ١٩٩٦م.

١٧- محمد شحرور، الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، ط. شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط. الرابعة.

١٨- محاضرات في تاريخ الماركسية، ريازانوف، ترجمة جورج طرابيشي، ط. دار الطليعة للطباعة والنشر . بيروت١٩٢٣م.

١٩- مختار الصحاح، للرازي، محمد بن أبي بكر، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط. المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا.

٢٠- ملك، خالق داد، الخطاب القرآني وأنواعه، مجلة القسم العربي جامعة بنجاب، لاهور- باكستان، العدد الثاني والعشرون، ٢٠١٥م.

٢١- نصر أبوزيد، النص السلطة الحقيقية، ط. المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، الدار البيضاء، ط. الأولى، ١٩٩٥م.

٢٢- نصر أبوزيد، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن ط. المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، الدار البيضاء، ط. الرابعة، ١٩٩٨م.

٢٣-ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ط. دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية.

٢٤-ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ط. دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس، ١٩٩٧ م.

٢٥-ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط. دار الكتب العلمية- بيروت، ط: الأولى – ١٤١٩ هـ..

٢٦-أبو حامد الغزالي، محمد بن محمد، جواهر القرآن، تحقيق: د. محمد رشيد رضا القباني، ط. دار إحياء العلوم – بيروت ط. الأولى ، ١٩٨٥م.

٢٧- أبو داود، السنن، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

٢٨-أحمد محمد الشرقاوي، التجديد في تفسير القرآن فريضة شرعية وضرورة حضارية، لمجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مجلد ١٢، عدد ٣،٢٠١٦م، بتصرف كثير.

٢٩-الأشقر، عمر سليمان، خصائص الشريعة الإسلامية، ط. دار النفائس.

٣٠-الأمين، عبد العزيز مختار إبراهيم، مجالات التجديد في الدين عرض ونقد، ط. مكتبة الرشد، الرياض.

٣١-البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ط. دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت، ط ٣، ١٤٠٧ - ١٩٨٧.
٣٢-البغدادي، الخطيب أحمد بن علي، الفقيه والمتفقه، تحقيق: عادل الغرازي، ط. دار ابن الجوزي – السعودية.
٣٣-البوطي، محمد سعيد رمضان، ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية، ط٤، دار الفكر، دمشق.
٣٤-الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح في اللغة، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط. دار العلم للملايين – بيروت. والرازي، محمد بن أبي بكر.
٣٥-الحاكم في المستدرك، كتاب الفتن والملاحم. ط. دار الكتب العلمية – بيروت.
٣٦–الخالدي، صلاح عبد الفتاح، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ط. دار القلم- دمشق.
٣٧-الخالدي، صلاح عبد الفتاح، مفاتيح للتعامل مع القرآن، ط. دار القلم – دمشق، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
٣٨-الزركشي، محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، ط. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٣٣هـ.
٣٩-السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر ، الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، ط. دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٠-السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر ، الدر المنثور، ط. دار الفكر - بيروت ، ١٩٩٣.

٤١-السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: أحمد أبو الفضل إبراهيم، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤ م.
٤٢-الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن، ط. دار ابن عفان.
٤٣-الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان، ط. دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت — لبنان.
٤٤-الصباغ، محمد بن لطفي، بحوث في أصول التفسير، ط. المكتب الإسلامي- بيروت، ط. الأولى.
٤٥-الطيِّر، مصطفى محمد الحديدي، اتجاهات التفسير في العصر الحديث، ط. مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.
٤٦-العظيم آبادي، محمد شمس الحق، عون المعبود شرح سنن أبي داود ، ط. دار الكتب العلمية — بيروت .
٤٧-الغزالي، محمد السقا، نحو تفسير موضوعي، ط. دار الشروق.
٤٨-الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، علوم القرآن، مخطوطات التفسير وعلومه، تحقيق د. عبد الله شحاته.
٤٩-القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، ط: دار الكتب المصرية -القاهرة.
٥٠-الكومي، أحمد السيد، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، تحقيق ومراجعة قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بطنطا، ١٤٤٠هـ-٢٠١٨م.
٥١-المرداوي، علي بن سليمان الحنبلي، التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، تحقيق: عبدالرحمن الجبرين، ط. مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠٠ م.

٥٢-الناصر، محمد حامد، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، مكتبة الكوثر، الرياض، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
٥٣-اليوبي، محمد سعد، مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، ط. دار الهجرة. والقيسي، معالم الهدى (ص١٠٨) باختصار.
٥٤-تفسير الطبري، تحقيق: شاكر، ط. مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
٥٥-جبريل، محمد بن السيد راضي، عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، ط. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،١٤٢١هـ .
٥٦-طاهر يعقوب، أسباب الخطأ في التفسير، ط. دار ابن الجوزي، ط. الأولى ١٤٢٥هـ.
٥٧-الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي، ط. مكتبة العلوم والحكم – الموصل، ط. الثانية ، ١٤٠٤ – ١٩٨٣.
٥٨-طه حسين، مستقبل الثقافة في مصر، ط. الدار العربية للنشر والتوزيع- القاهرة.
٥٩-عبد الفتاح محجوب محمد ابراهيم، الدكتور حسن الترابي و فساد نظرية تطوير الدين، ط. القاهرة ،بيت الحكمة.
٦٠-عدنان، محمد أسامة، التجديد في الفكر الإسلامي، ط. دار ابن الجوزي.
٦١-عمر عبيد حسنة، الاجتهاد للتجديد سبيل الوراثة الحضارية، ط. المكتب الإسلامي للطباعة والنشر.
٦٢-فهد الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت.

٦٣-القيسي، مروان إبراهيم، معالم الهدى إلى فهم الإسلام، ط. المكتبة الإسلامية، عمّان.

٦٤-محمد ابراهيم شريف، اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر . ط. دار التراث، القاهرة.

٦٥-مقدمتان في علوم القرآن، تحقيق: آرثر جفري ط. مكتبة الخانجي ١٣٩٣هـ.

٦٦-يحي الشطناوي، التجديد في التفسير، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، حلب، مجلد٦، عدد٢٣، سنة١٤٣١ – ٢٠١٠، ص١١